الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة اجتماعية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الاجتماعية

تحت موضوع:

قواعد المنهج عند ديكارت

من اعداد الطالبة:
* شرفة وحيدة.

المشرف	الرئيس	المناقش
– فرحات	– مراح	– شرماط

السنة الجامعية: 1439–1440 هـ / 2017–2018 م

- قال الله تعالى:

﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾.

سورة المائدة - الآية: 48.

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل، فهو القائل (**لان شكرتم لأزيدنكم**)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (**من لم يشكر الناس لو يشكر الله**)

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف **الواعر هشام** الذي لم يبخل علينا بالكثير من وقته والنصائح القيمة وتواضعه اللامتناهي في المعاملة فكان نعمى المشرف حفظه الله

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدنا بقليل أو بكثير في سبيل تحصيل أكبر استفادة من هذه الدراسة

أشكر كل هؤلاء على مدهم يد العون لي

المقدمـــــة

مقدمة

ان تاريخ الفكر الإنساني يشهد بأن الفلسفة عبر مسارها الطويل، قد مرت بمراحل تاريخية متعددة، حتى وصلت الى مرحلة النضج الحالي، فتعددت بذلك مناهجها وتوجهاتها الفكرية، وسارت في مسار التنوع والتجديد. لتكون بدايتها مع الفلسفة اليونانية بأقطابها الثلاثة البناة للفكر الاغريقي: سقراط، أفلاطون وأرسطو. لتدخل الانسانية مرحلة ثانية انقلبت فيها كافة الموازين وهي مرحلة العصور الوسطى، التي ساد فيها الفكر الديني وأخذت الكنيسة تستولي على العقول وتفرض سيطرتها على مختلف المجالات والمستويات الحياتية سواءا السياسية، الاجتماعية والفكرية، بما في ذلك الفلسفة...الخ – أي الابداع بحسب الطلب الكنسي – وكرد فعل طبيعي على عصر الظلمات قام عصرجديد وهو عصر الإصلاح والاستنارة بنور العقل والرشاد مع بداية العصر الحديث وبالتحديد مع رائد الفكر العقلاني الحديث ديكارت، الذي عمد الى نوع من الحرية والاستقلالية الفكرية من خلال الخروج عن مختلف القيود والروابط الوسيطية التي صاغتها وأوجدتها الكنيسة. فكان بذلك قد حرر نفسه وفكره من ذلك العصر اللاهوتي الذي كان سائدا، بالاتجاه نحو الابداع والتجديدفي المعارف الفلسفية. أي بعدما كانت قابعة في عزلة وانطوائية الفلسفة الكلاسيكية نحو فلسفة تنويرية عظيمة. وبهذا كان ديكارت هو الذي رفع لواء الحرية الفكرية والفلسفية، الى جانب ابتكار منهج جديد قادر على صيانة العقل وحفظه، وتجسيد مبدأ الحماية والوقاية لتفادي الوقوع في الأخطاء والاغاليط. فكان بذلك منهجه هو العنوان لترشيد العقل نحو المعقول ونحو المعرفة الصحيحة والواضحة. وحتى نستطيع فيما بعد التأسيس لنظام الأوحادية المنهجية في سائر مجالات المعرفة، نظرا لاتباعها منهج واحد واضح قائم على مجموعة من الخطوات والمراحل الذي يضمن لنا اتباعها الوصول والاهتداء الى اليقين والثبات في مجال الحقائق، بدلا من ارجاع كل شيء الى اللاهوت والدين –كماكان سائدامن قبل– .من هنا كان المنهج الديكارتي هو البصمة الايجابية المقدمة و الذي كان في خدمة المعارف و التوجهات الفلسفية .لهذا استلهم هذا الموضوع اعجابنا، فدفعتنا بذلك

عدة اسباب الى دراسته والبحث فيه، منها المتعلقة بالموضوع ومنها المرتبطة بالميولات الذاتية .لهذا كان من بين تلك الاسباب الدافعة اليه الموضوع: من حيث انالمنهج هو غاية الدراسة الفلسفية والتفكير الفلسفي لذلك يطرح أهمية خاصة، كما تظهر الحاجة التعريف القارئ بالمنهج الديكارتي وأهميته، زد على ذلك أهمية الموضوع في الدراسات والبحوث العلمية.اما الذاتية: ميلنا الشخصي لهذا الموضوع (أي قواعد المنهج) خاصة وأنه يتم استعماله والاستشهاد به في مختلف الدراسات والتوجهات الفكرية، فلا يكاد يخلو بحث من البحوث من حضور ديكارت ومنهجه ، سهولة التعامل مع الفكر الديكارتي من حيث اللغة السلسة والواضحة واصابة الهدف المنشود مباشرة، اما اذا تناولنا هدف دراستنا لهذا الموضوع :فالمنهج الديكارتي موضوع حيوي، خاصة وأنه يجمع بين التوجه الرياضي والتفكير الفلسفي ،وايضا محاولة تحليل أفكار ديكارت في مجال المنهج، ثم العملعلى ابراز أهم الخطوات والقواعد ال تي ينطوي عليها ،اضف الى ذلك الكشف عن الأسباب الاساسية التي ولدت الحاجة الى هذا الموضوع.

وقد كانت الدراسات السابقة للأبحاث حول قواعد المنهج الديكارتي، قد تم تناولها من قبل مهدي فضل الله في كتابه "فلسفة ديكارت ومنهجه"

وفي بحثنا هذا نحن نحاول تقديم الجديد والاضافة عليه، حتى يتسنى لنا ابراز بصمتنا في هذا الموضوع بالذات.

ووفق هذا فان الإشكالية التي نعالجها من خلال هذا البحث تكون وفق الصياغة التالية:

-ما هو النسق المعرفي الذي اعتمده ديكارت لبناء وتأسيس قواعد منهجه؟

هذه الاشكالية تنحل بدورها الى مجموعة من المشكلات التي يمكن حصرها فيمايلي:ما دلالة المنهج عند ديكارت،ما المقصود بالمنهج الديكارتي،ما هي أسسه وقواعده،ما الإضافة التي قدمها ديكارت للمناهج الفلسفية؟

وللاجابة على كل تلك الاسئلة اهتدينا الى خطة منهجية تضمنت مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة، بحيث حاولنا في المقدمة:الاحاطة بالموضوع، انطلاقا من تاريخ الفلسفة في العصور اليونانية والوسطى وصولا الى الفلسفة الحديثة برائدها ديكارت وربطها بموضوع دراستنا المتمثل في قواعد المنهج عند ديكارت. أتبعنا المقدمة بثلاثة فصول :الفصل الأول، المعنون بـ: البوادر الأولى للنظرية المعرفية الديكارتية، أما المبحث الاول، فهوالارهاصات الأولى للفلسفة الديكارتية والذي ينقسم الى ثلاث مطالب: ،1عصر النهضة الأوروبية، 2بوادر ظهور حركة الإصلاح الديني، 3العلم ونشأة الفلسفة الحديثة.ثم عرجنا في المبحثالثاني الى حياةديكارت من حيث نشاته واهم اعماله.لناتي في المبحث الثالث ونلقي الضوء على النظريةالمعرفية الديكارتية بداية من :الشك المنهجي والكوجيتو الديكارتي الى المعرفة الديكارتية،ثم الثنائية الديكارتية، لنصل في خاتمة هذا المبحث الى ان الله مصدر الكمال والحقائق المطلقة عند ديكارت. أما الفصل الثاني فكان موسوما بـ: أسس وقواعد المنهج الديكارتي ، حيث حاولنا في بادئ الامر التنقيب عن مصطلح المنهج ودلالته: لغة واصطلاحا، ثم دلالة المنهج عند ديكارت، لنقوم في المبحث الثاني بتحديدالاسس التي يعتمد عليها المنهج الديكارتي من بداهة هذا الاساس الاول الذي ينطوي بدوره على خاصيتي الوضوح و التمييز، ثم الاساس الثاني وهو الاستنباط.اما المبحث الثالث فكان يتمحور حول القواعد الاربعة للمنهج الديكارتي اولها قاعدة البداهة والوضوح، قاعدة التحليل، قاعدة التركيب، واخيرا قاعدة الاستقراء. اردفناه بالفصل الثالث، والذي كان بعنوان: المنهج الديكارتي بين التأييد والمعارضة، اهتدينا فيه الى ابراز المؤيدين للمنهج الديكارتي من امثال باروخ اسبينوزا، ونيكولا مالبرانش، اما في المبحث الثاني فكنا بصدد تقديم المعارضين، نخص بالذكر ادموند هوسرل، وجان بول سارتر.

وختمنا هذه الدراسة بأهم النتائج التي توصلنا اليها مركزين على المنظور الديكارتي للمنهج، ورؤيته الدقيقة والواضحة، من أجل صناعة معارف وحقائق خالية من الأخطاء والنقائص، وبناء عقل سليم كفيل بالوصول الى اليقين والدقة المطلوبة.

ولتجسيد هذه الخطة كان لابد لنا من الاعتماد على المناهج التالية:في الفصل الأول، اعتمدنا على المنهج التاريخي وهذا يتلاءم مع ذلك السرد التاريخي للحقائق الماضية سواءا للفلسفة الاغريقية او الوسيطية ،بالإضافة الى المنهج التحليلي الذي استخدمناه ايضا في الفصل الثاني للمذكرة ،خاصة اثناء عرض المراحل الاربعة للمنهج الديكارتي ،اما في الفصل الثالث: قمنا بتوظيف جزءمن المنهج المقارن حتى نتمكن من تقريب او تمييز ديكارت عن الفلاسفة الآخرين سواء المؤيدين أو المعارضين له.

واعتمدنا في هذا البحث على مصادر أساسية في الفكر الديكارتي لعل أهمها كتاب: رينيه ديكارت (مقال في الطريقة)، وكتابه أيضا (التأملات الميتافيزيقية في الفلسفة الأولى). أما عن المراجع فكان من أهمها: إبراهيم مصطفى إبراهيم في كتابه (الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم)،نظمي لوقا في كتابه) الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت(وغيرها من المؤلفات...

وكأي بحث علمي فلقد واجهتنا صعوبات كثيرة يمكن حصرها في: صعوبة التعامل مع بعض المصادر المرتبطة بالبحث، عدم توفر بعض الترجمات رغم أنها تلعب دور أساسي في المذكرة، عدم توفر بعض المؤلفات منها "البحث عن الحقيقة" لمالبرانش.

الفصل الأول

البوادر الأولى للنظرية المعرفية الديكارتية

أولا: الارهاصات الأولى للفلسفة الديكارتية

1- عصر النهضة الأوروبية.

2- بوادر ظهور حركة الإصلاح الديني.

3- العلم ونشأة الفلسفة الحديثة.

ثانيا: ديكارت: حياته، نشأته وأعماله

1- حياته ونشأته

2- مؤلفاته

ثالثا: نظرية المعرفة الديكارتية

1- الشك المنهجي و الكوجيتو الديكارتي.

2- المعرفة الديكارتية.

3- الثنائية الديكارتية.

4- الله مصدر الكمال والحقائق المطلقة.

الفصل الأول: البوادر الاولى للنظرية المعرفية الديكارتية

ان الحديث في الفلسفة الحديثة وفي المعالم الحضارية والثقافية التي سادت فيها يحيلنا الى ضرورة العودة الى الحقبة التاريخية السابقة عنها، وكيف ساهمت بطريقة أو بأخرى في رسم توجهاتها وأسسها القاعدية على اعتبار أن التاريخ يمثل سلسلة متواصلة من الاحداث وعلى مر العصور. واذا كنا سنلقي الضوء على هذه الفترة [أي العصور الوسطى] فهي زمنيا محصورة ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ميلادي، حيث اعتبرت بمثابة منعطف حاسم وبارز في احداث نقله نوعية لمجرى تاريخ الفكر الفلسفي والديني ومختلف المجالات الأخرى.

في حين العصر الحداثوي منطلقة القرن السادس عشر الى غاية القرن التاسع عشر ميلادي عبر عن استفاقة الشعوب، وتطور وتطوير جل أنماط التفكير وصحوة لم يشهد لها مثيل من قبل.

لكن هذه الصحوة لم تكن من العدم وانما كانت تحت تأثير جملة من العوامل والمحركات والتي يمكن اجمالها كما يلي:

أ) **النهضة الأوروبية**

ب) **حركة الإصلاح الديني**

ت) **نشأة العلم وظهور الفلسفة الحديثة**

كان لهذه الحركات أيما تأثير في ابداع خطى فكرية وانتاجية جديدة لم يشهدها التاريخ ولم يتوقع حدوثها وقدومها.

أولا: الارهاصات الأولى للفلسفة الديكارتية

1- حركة النهضة الأوربية:

كما هو متعارف عليه عند الجميع ان عصر النهضة الأوروبية كان من الخصائص الجوهرية في احداث نقلة نوعية غير معهودة من قبل. لكن قبل التطرق الى هذا العصر واهم مميزاته. كان لزاما منا أولا ضبط هذا المفهوم، و هذا ما سنجده فيما يلي:

{عصر النهضة يمثل حركة فكرية نشأت أولا في إيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي، يتسم بالاهتمام بالأدب والفن الكلاسيكي (التقليدي) ويهتم بالنشاط الفكري والذهني (العقلي) والعلمي الفني، اذن فهي فترة في التاريخ الأوروبي من القرن 14 الى 16 ازدهرت خلالها الأنشطة الفكرية والفنية وهي من اللفظ الفرنسي Renaissance **بمعنى إعادة الولادة** Rebirth **والتجديد** Renewal ...**}.** [1]

بعد ضبط المفهوم نصل الى القول بأن النهضة الأوروبية انطلقت في القرن 14م دام قرون طويلة عانت فيها أوروبا من سيطرة وسطوة الكنيسة ورجالها على مختلف مناحي الحياة من سياسة، دين، ثقافة، علم ...الخ، مارست عدة سلوكات عبرت من خلالها على منطق التحكم والتوجيه للدولة وللشعب وللثقافة متجاوزة في ذلك مختلف قيم الإنسانية والحرية طابع في أذهانهم منطق الخضوع والتبعية البحتة. لهذا نجدها في مجال السياسة قد تدخلت في أدق التفاصيل من اختيار الحاكم وربطه بالكنيسة تحت شعار طول مدة حكم الحاكم مرتبطة بمدى رضا الكنيسة ورجالها عليه.

أما فيما يخص الشعب فقد عملت على تهميشه واحتقاره وتضليله في أمور الدنيا والدين... الخ بمظاهر البؤس والشقاء عن طريق سلب أموالهم واستغبائهم في بيع لهم صكوك الغفران وبأن مجرد الاعتراف للبابا بالخطايا يكفل رفع الأخطاء والمعاصي على العباد.

كما عملت على تضييق عمل ومسار العلماء والباحثين وعلى تدميرهم في غالبية الأحيان (قتل غاليلو مثلا) وذلك حتى لا يعمدوا الى نشر ملامح الوعي بين الناس .من هنا وتحت هذه الظروف كانت أوروبا تعيش خلال هذه الحقبة تبعية وخضوع تام للكنيسة، ولكن دوام الحال من المحال لهذا كان مطلع القرن 14م في أوروبا يمثل استفاقة ونهضة شملت مختلف المجالات والميادين لذا قيل: **{ عصر النهضة هو الذي يمثل فترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة}** [2].

1) ابراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،2001م، ص45.
2) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الحديثة ،ج2، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1959م، ص ص 285-286.

لتحدث خلال هذه الفترة تغيرات و تحولات جذرية في المجتمع الأوروبي معاكس تماما لما كان سائد في العصور الوسطى. فنجد بروز فكرة الحرية من مختلف القيود الدينية، الاجتماعية و حتى الأخلاقية ولذلك و كنتيجة منطقية عن ظلم و جور الكنيسة و مختلف القيود التي مارستها على الناس عند الخروج من ذلك العصر الا البحث عن الحرية بل والحرية لا تعرف حدود ولا نهاية فظهر بهذا الفساد و انتشار الملاهي ة تقديم و ابراز المرأة على حساب الرجل في مجتمع **{ أحدثت النهضة تغييرات عميقة في المجتمع الأوروبي فقد اكدت على الحرية الفردية و قداستها، ولكن الامر تطور من نقيد كامل للحرية التى النقيض .... حرية لا تعرف حدود و استعانة بالآداب .... و ضعف الوازع الديني بسبب ما وصل اليه رجل الدين من تدهور .... و الى انتشار الفساد و تدهور المعايير الأخلاقية}**[1] و من هنا بروز خلال بروز عصر مغاير تماما لم تم تأسيسه و بنائه وفق منطق الضرورة و حتمية الكنيسة و مختلف القيود و الضوابط الإلزامية المطبقة على الناس في وقت سابق كما نجد ان المجال السياسي هو الاخر عرف حرية و انفصال عن الدين و ذلك منطق " **ما لله لله و ما لقيصر لقيصر** " أي فكرة العلمانية او ما يعرف بفصل الدين عن الدولة **{ فالبابا مثلا كان يتدخل مباشرة في الشؤون الداخلية للدول و الحكام ... و كان من الطبيعي و الحال هذه ان يطمح و يسعى الحكام للتحرر من السلطان البابا**[2]**}** و هنا يعود الفضل في هذه الفكرة السابقة – أي فصل الدين عن الدولة – الى ويليام اف اوكام الذي جاء بهذه النظرية، و فضل هذه النظرية أيضا يعتمد الي الفلسفة من خلال تحريرها عن الدين من جهة و من جهة ثانية التحرر من الفلسفة المدرسية التي كانت تقدس و تمجد كل من فلسفة افلاطون و اريسطو و تقر بكمال الفلسفة عند هذين النموذجين مما ولد مقت الكثير من الفلاسفة لها.

كل هذه الأفكار كانت بمثابة محفز ودعوة لإبداع معالم حضارية جديدة في شكل عصر نهضوي، يمكن تقسيمه الى قسمين:

1) شوقي عطى الله، فلسفة ديكارت

2) مهدي فصل الله، فلسفة ديكارت و منهجه، دار الطليعة للطباعة و النشر ، لبنان ط 3 1996 ص 62.

1) النهضة في إيطاليا:

{احرزت فلورنسيا – ولاية من ولايات إيطاليا – تقدما كبيرا في مجالات مختلفة منها: الادب، العلم، الصناعة، التجارة ومنها خرج علم الاقتصاد السياسي ،لذلك نجد العديد من الكتب في هذا المجال منها: النهضة، الحكاية الفلورنسية.... الخ }[1].

ومن ثم فالدولة الاوربية التي اعلنت عن رفع راية النهضة والتحرر من مختلف القيود ومعالم الظلم المطبق عليها هي إيطاليا، وذلك راجع الى عدة أسباب لعل اهمها: الموقع الجغرافي الذي يساعدها خاصة لانها نقطة اتصال بين أوروبا و البحر الأبيض المتوسط. تمتعها بالإسلام، اعتبارها مركز ديانة المسيحية، بالإضافة الى الرخاء الاقتصادي الذي تتمتع به..... الخ كل هذه الأسباب دفعتها الى ضرورة المطالبة بالحرية واشتراط النهضة قبل غيرها من الدول الأوروبية. والحديث عن النهضة هنا يحيلنا الى الكشف عن اهم الزعماء والفلاسفة الذين ساهموا في بلورة الفكر التحرري النهضوي، من بينهم نجد: الفيلسوف نيكولا ميكا فيلي، ودانتي اليجري .... الخ.

- ميكيافيلي:

فيلسوف و مفكر إيطالي عاش حياة الرفاهية و حياة الانانية و الخداع، لذلك نجده عمل على تبرير ظلم ودسائس الحكماء و راعى مصالحهم، وذلك ما صرح به في كتابه "**الأمير**" مركزا فيه على فكرة الحرية و التحرر من كل الروابط والقيم الاخلاقية وجعلها مبدء اساسي تحت شعار "**الغاية تبرر الوسيلة**" .

فظلم الحاكم بالنسبة لميكيافيلي ما هو الا عنوان لاستمرارية عرشه وبقاء سلطانه فتصبح بذلك كل الوسائل (من ظلم، جور و استعباد الناس) مشروعة و جائزة حسبه، لهذا نجده يقول:

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم، المرجع السابق، ص ص 47-48.

{ومن ثم فالحاكم أو الأمير حر من كل المبادئ الإنسانية و الاعتبارات الدينية، حر من القوانين حتى يبيح استخدام الظلم و العدوان في سبيل تحقيق الوحدة}[1].

فكانت هذه الأفكار الميكافيلية ثورة حقيقية على مختلف الاعتبارات الخلقية و الدينية، و دعوة صريحة للتحرر من كل الروابط و القيود، فافكاره النهضوية مركز انطلاق النهضة في إيطاليا، حيث نادى ناصحا عامة الناس برفض الكنيسة و دحضها لما كان يصدر عنها من ظلم و تجاوز لهذا قال :**{ينصح ميكيافيلي الناس بنبذ الكنيسة و معتقداتها نتيجة لما شاع عنهم من سوء البابا و القساوسة و البعد عن التدين بعيدا عن اعين الناس}**[2]. من خلال هذه الافكار كان مكيا فيلي من محركي النهضة الايطالية، حيث سار حذوه ايضا الفيلسوف دانتي، لكن كيف كانت مساهمته في النهضة؟

- دانتي اليجري:

احتل دانتي مكانة بارزة عند مدخل النهضة الإيطالية بأعماله و مؤلفه الرئيسي "الكوميديا الإلهية" لهذا اعتبر من محركي النهضة الإيطالية، خاصة و انه اعتمد على نفسه و على مواهبه في الوصول الى القمة دون ان يربط نفسه بهيئة دينية او علمانية، لذلك قيل عنه: **{ان الكوميديا الإلهية التي وضعها دانتي صبغت اول اللبنات الأوروبية الحديثة بطابعها الادبي، ومن ثم اصبح هذا الإنتاج بالغ الأهمية بالنسبة لإيطاليا، كما ترك اثرا عميقا في نفوس الايطاليين و عقولهم}**[3]. مما جعل غاية أي كاتب إيطالي اليوم هو محاولة التقرب الى أسلوب ولغة دانتي.

من هنا لا يسعنا الا التأكيد على ان النهضة الإيطالية قامت بفعل أبنائها ومفكريها، الذين شجعوا على قيامها واحداثها. لكن ماذا عن بوادر النهضة خارج اسوار إيطاليا؟

---

1) مهدي فضل الله: المرجع السابق، ص 63.

2) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي النصر،1999م ، ص24.

3) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 292.

2) النهضة خارج إيطاليا:

{مع انطلاق القرن 15 م انتشرت وشاعت ثورة إيطالية على الكنيسة و مبادئها و على الفلسفة المدرسية والمنطق الصوري، فنجد ان هذا الأساس تبنته فرنسا و المانيا و بريطانيا وغيرها من دول أوروبا كما حاربوا النظام الاقطاعي الذي كان يدعمه اباء الكنائس}[1].

وفي هذا الإطار انكشف الغطاء عن عيون الأوروبيين، لتبدوا لهم مقدساتهم مجرد أوهام وضلال كهنية، لابد من ابعادها واماطتها عن الطريق لتحقيق كل هذا التطور المحصل عليه اليوم، فالرخاء الاقتصادي والاجتماعي الشامل لكل المجالات، انما يعود فيه الفضل الى النهضة التي عرفتها الدول الغربية والأوروبية والتي انطلقت في باذئ الامر من إيطاليا لتشمل فيما بعد كافة دول أوروبا.

– من اهم اعلام النهضة خارج أسوار إيطاليا نجد:

الفيلسوف الإنجليزي: "**فرانسيس بيكون**" الذي **{ولد 1561–1626م في البلاط الإنجليزي في فترة حكم "اليزابيث الأولى" كانت حذرة من غدره وقوته الفكرية الاحتيالية}**[2] لذللك نجده، قد قدم فيما بعد مساهمة كبيرة في مجال نظرية المعرفة، خاصة بعدما كانت هذه الأخيرة (أي المعرفة) محصورة في مجالها الضيق ابان فترة الظلام الأوروبي، من خلال وضعه منهج الاستقرار، لهذا قيل **{فرنسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي الذي وضع منهج الاستقراء الذي لا يستطيع العلم الاستغناء عنه حتى اليوم}**[3].

من هنا كان اسناد العلم الى المعرفة قائم عند بيكون في ضرورة التخلص من الأصنام المعرفية التي تسيطر على فكرنا وعقولنا وقد رصدها كالآتي:

---

1) مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت و منهجه، ص66.

2) هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م، ص162.

3) إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة والنصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص15.

أولا: أوهام القبيلة: وذلك بعد الاعتماد على الحواس البشرية في قبول الحقائق لهذا قيل: **{صنم الثقة بالحواس وتزينه لنا مشاعرنا}**[1].

ثانيا: أوهام الكهف: أي ان التكوين الفكري والاجتماعي الخاص بالفرد هو حاجز يحول دون عبور الحقائق لنا لذا نجد: **{المثل حيث لكل فرد كهفه الذي يرى ظلال الوجود من خلاله من أجل منفعته الخاصة}** [2].

ثالثا: أوهام السوق: اللغة ويقصد بها بيكون الألفاظ هي أكثر وأخطر الشبهات التي توقع العقل في الأخطاء لاحد لها **{ضم السوق حيث يضللنا باللغة العربية التي تستعمل والكلمات تخدعنا }** [3].

رابعا: أوهام المسرح: الموروث الفكري والثقافي القديم حيث يقدس على أنه مسلمات وبديهيات غير قابلة للخطأ أي أن **{ الاديولوجيات اليوم تحمل الناس على الكثير من هذه الأوهام الدعائية لمبادئها}**[4].

اذن النهضة الأوروبية هي البداية لدخول عالم الحضارة، التميز و الرخاء الفكري السياسي و الاقتصادي ... الخ. و الواقع يشهد بذلك، حيث بمجرد دخول الانسان في هذه النهضة استطاع ان يثبت وجوده كانسان عاقل مفكر و منتج .فظهرت بذلك معالم التطور والتقدم كبديل عن الجور و الاستبداد و الاستغلال، فمهدوا بذلك لدخول الانسان و الإنسانية وفق منطق التحرر و الاستقلالية وتمجيد الفرد واعطائه مكانته الحقيقية على غرار ما كان سائدا و متجذر في العصور السابقة لهذا العصر، من هنا كانت هذه الحركة النهضوية السابقة الذكر مشجعة و مساهمة لقيام حركة أخرى و

1) هاني يحي نصري: المرجع السابق، ص164.

2) هاني يحي نصري، المرجع السابق، ص164.

3) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

4) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

* ولد ميكيافيلي Mechiavell في مدينة فلورنسيا من اسرة ارستقراطية، دخل ميدان الحياة العامة وهو لم يتعدى الثالث عشر من عمره، فشهد عن كثب كل ما يدور في الحياة الاجتماعية الإيطالية من حيل و خداع و غور و انانية.

* دانيتي اليجري ولد 1265 م – 1321 م من اهم مؤلفاته "الكوميديا الإلهية" ذاع صيته وشهرته الواسعة في إيطاليا.

هي حركة الإصلاح الديني، فكيف كان مدلول هذه الحركة في مجال الدين على واقع المجتمع الأوروبي، يا ترى؟

2) حركة الإصلاح الديني:

تعتبر حركة الإصلاح الديني، ثاني حركة بعد النهضة الأوروبية ،والتي كان لها الاثر الكبير و الواضح في تغيير الكثير من المفاهيم والأفكار الدينية السائدة، لهذا نجد : **{من التغيرات الجديرة بالاهتمام في عصر النهضة هو ظهور الأوروبي بصبغة جديدة منافي لما كان سائدا من قبل و اهم عامل,,, هو الحرية ... مادفع الى دخول هذا المصطلح الى مجال الدين }**[1]، من هنا كان لدخول مفهوم الحرية الى ميدان الدين تاثير واضح وجلي، في دعوة مباشرة نحو التحرر من سلطان الكنيسة و رجالها الذين يروجون لفكرة التبعية واستعباد الناس من خلال صكوك الغفران وفكرة الاعتراف بالاضافة الى مختلف الممارسات التي تكرس لمبدء السلطة لاباء الكنائس واستباحة مختلف القيم والتلاعب بالمفاهيم الدينية مما ولد ثورة مارتن على كل تلك الأفكار و الطقوس، و اعتبرها مرفوضة و جائرة و تكرس منطق السيطرة و الخضوع للكنيسة لهذا نجد : **{ابان مارتن لوثر ان مثل هذه الأمور ما هي الا خرافات لا أساس لها من الصحة، فضلا على انها بدع مرفوضة}**[2].

ومن الجدير بالذكر ان هذه الحركة قد عارضت الديانة المسيحية لكن بالمقابل دفعت لظهور الديانة البروستاتية، من هنا كان لفكرة الحرية دور كبير في فكرة الإصلاح الديني، هذا الأخير كان يسير وفق تيارين:

1) شوقي عطى الله، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ أوروبا، المرجع السابق، ص ص 23-24.

2) إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم، المرجع سابق، ص 54.

{الأول: يرمي الى اصلاح المجتمع على أساس التمسك بتعاليم الدين مثل هذا الاتجاه الراهب جيروم سافونا. الثاني: يرمي الى اصلاح المجتمع دون التمسك بالاعتبارات الدينية وغيرها مثل هذا الاتجاه نيكولا ميكيافيلي}[1]

والمتعمق في هذا يستشف أن لفكرة الإصلاح الديني توجهين أساسيين: الاتجاه الأول راعى ضرورة التمسك بالدين والرجوع الى مختلف النصوص الدينية في اصلاح المجتمعات، أما الثاني فنادى بضرورة فصل المجتمع عن الدين أي فكرة العلمانية، وذلك كنتيجة منطقية لما كانت تمارسه الكنيسة من تجهيل ظلم واستبداد، مما ولد لدى الكثير من رفضهم المطلق لتعاليم الدين المسيحي ومن ثم نصل الى: **{وبعدما كان الدين المسيحي هو عصب الحياة في العصور الوسطى، لكن بعدما تم ادماج فكرة الحرية، أصبح للفرد القدرة على التحرر من الأفكار الكنيسة الوسطية، ومن ثم حركة الإصلاح الديني، انتقلت من ثقافة القرن 13م وهي الكاثوليكية الى الثقافة الإنسانية في القرن 15 و16م ثم الى عصر الاستنارة أي من الطفولة الى عصر الشباب الى عصر الرجولة}.**[2]

اذن الحرية هي النقطة المفصلية في عملية الإصلاح الديني، الذي أتى بثماره فيما بعد خاصة بزوال الارتباط بالكنيسة والخضوع المطلق، دفعه ذلك الى إطلاق العنان لأفكاره مما جعله ذلك يبدع، ينتج ويكون أكثر فعالية في واقعه واثبات وجوده كذات عاقلة ومفكرة.

إضافة الى ذلك كان من نتائج ذلك الإصلاح الديني ان وصلت أوروبا الى إعادة رسم خريطة الابرشيات من خلال التخلي التدريجي عن البروتستانتية، وإيجاد بالمقابل مؤسسات دينية مهمتها: تقديم التعاليم الدينية، تشكيل شبان مؤهلون للرهبنة مهمتهم تعليم هؤلاء الشباب، التمكن من مبادئ واسرار الايمان المسيحي وايضاحه في شتى المجالات وإزالة الأحقاد والعدائية للدين، بعدما تم تدميره من قبل الكهنة خلال فترة العصور الوسطى. فبدلا من ان يكون الدين خير سند للناس عمل رجال

1) شوقي الجمل، عبد الله عبر الرازق إبراهيم: أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص25.

2) محمود سعيد عمران: حضارة أوروبا في القرون الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1998م، ص12.

الدين والكهنة على جعله عامل اخضاع وممارسة للظلم ومصدر للجبروت، وذلك كله كان من اجل خدمة مصالحهم، وملئ بطونهم التي لا تعرف منطق الاشباع. فغيروا بذلك مفهوم الدين من جانبه الإيجابي الى جانب سلبي مدمر للناس فما كان على البابا في العصور الحديثة الا اصلاح الدين المسيحي وتغيير نظرة الناس اليه [1]. دون ان ننسى بان هذه المدارس اليسوعية هي المدرسة التي تلقى فيها ديكارت تعليمه في لافيش فيما بعد، وان كانت هذه المعلومة سابقة لأوانها.

نلاحظ هنا ان بعد هاتين الحركتين تغيرت العديد من المفاهيم واسند للإنسان الأوربي المزيد من الحرية ليجعله ذلك يبدع وينتج فيظهر بذلك العلم وتنشا فلسفة حداثية، مما ولد صحوة فكرية مست مختلف التخصصات والتوجهات وأفرزت ابداعات وانتاجات جديدة ومثمرة.

3) نشأة العلم وظهور الفلسفة الحديثة:

أ) العلوم الحديثة:

كانت النهضة الأوروبية بمثابة استفاقة او صحوة تبناها الانسان الاروبي بعد طول انتظار، وهذه الصحوة شملت مختلف ميادين الحياة بما في ذلك جانب العلم والفلسفة. فبعد ظهورمصطلح الحرية الحقة فسح المجال أمام الباحثين والعملاء لتقديم ابداعاتهم وامكانياتهم من دون أي تخوف او خشية من الكنيسة، التي كانت في عهد سابق رافضة لأي ابتكار مخالف لسلطانها ويعمل على اثبات حقائق هي غير مباركة لها –ومن ثم فتح الباب امام الحرية هو بمثابة فتح الباب امام الابداع– لذلك نجد ان علماء عصر النهضة او جدوا لأنفسهم منهجا للسير على خطاه ليمتنعوا عن الوقوع في الأخطاء والمغالط، وهذا المنهج هو ما يمكن تسميته بالمنهج العلمي، هذا الأخير يعتمد على مجموعة من الخطوات الأساسية، وهي كالتالي:

{يقوم هذا المنهج في الدراسة العلمية على ما يلي: الملاحظة، فرض الفروض، اجراء التجارب لاستبعاد ما يثبت اخطاه، ما يثبت صحته منها يصبح أساسا للنظريات العلمية اذا النظرية العلمية

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع السابق، ص214.

تصبح صحيحة طالما لم يثبت عكسها، لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسب ما تثبت عكسها لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسب ما يثبت التطبيق من صحتها او عدمه ...}[1].

ومن هنا اصبحت البحوث العلمية تنهج منهجا للوصول الى نتائج صحيحة وصادقة، بل تحاول بلوغ مكانة رفيعة من الصدق واليقين. وذلك بالاعتماد على خطوات ثابتة تضمن لها ذلك. ومن ثم ينطلق هذا المنهج من ملاحظات تثار داخل النفس الباحثة، ثم في خطوة ثانية نقوم بحصر هذه الملاحظات في فروض، لنأتي بعد ذلك الى المرحلة الثالثة اين نقوم بعملية التجريب للتأكد من صحة الفروض، فان ثبت خطا الفرض قمنا بإلغائه، وان ثبت صحته تحول الى قانون. كان لهذا المنهج الأثر الواضح في تحقيق نجاحات كبيرة في مجال العلم. وهذا ما نراه بالفعل من خلال غزو الفضاء والتغلب على مختلف الامراض بإيجاد المضادات المناسبة وقد تم استعمال هذا المنهج حتى في مجال العلوم الإنسانية من خلال ما يعرف بتطويع المنهج حتى يتلاءم وطبيعة تلك العلوم و ابرزها على الاطلاق هو علم النفس ولعل الفضل في تبني هذا المنهج ونشره يعود الى الفيلسوف، فرنسيس بيكون في كتابه **{الإدارة الجديدة}**، كما يمكن القول ان النهضة العلمية هي نهضة قائمة في جمع التراث الكلاسيكي (ترجمته) المبعثر وتنظيمه وإعادة بث الحياة فيه وإقامة حضارة بملامح جديدة ومسايرة لمتطلبات العصر و الواقع ،لذلك يمكن القول: **{يرجع الفضل في النهضة العلمية الى الموهبة التنظيمية وفضل الاديرة سواء من الناحية الثقافية او من ناحية جمع التراث الكلاسيكي والمخطوطات المتعلقة بالثقافة المسيحية}**[2].

من هنا نصل الى القول بان العلم الحديث وصل الى درجة معينة من التطور والتقدم بفضل عاملين أساسيين:

1) شوقي عطى الله، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ أوروبا، المرجع السابق، ص 19.

2) محمود سعيد عمران: حضارة أوروبا في القرون الوسطى، المرجع السابق، ص24.

أولهما: كان بفضل وضع وضبط المنهج العلمي الحديث، الذي يقوم وفق مجموعة من الخطوات والمبادئ. **وثانيهما:** العملية التنظيمية التي قامت بها مختلف الاديرة والكنائس من خلال جمع التراث الثقافي الكلاسيكي وإعادة تنظيمه من جديد ليتم الاستفادة منها.

{وهنا يجب الإقرار والتصريح بالكتب والمخطوطات العربية والإسلامية التي تم ترجمتها، ومن ثم الاستفادة منها في مجال العلم}.

كما يجب الاشارة الى ان العلوم التي طبقت ذلك المنهج التجريبي اصبحت على نحوا ما من الدقة واليقين، وهذا ما يفسر سعي جل العلوم نحو ذلك المنهج والسير بخطى مختلف العلوم التي طبقته، ومن ثم فالمنهج هو مبتغى ومسعى جميع العلوم ومختلف المعارف بشتى أنواعها وانماطها وكل اشكالها.

أشهر العلماء في العصر الحديث:

كان لنشأة العلم وظهور النهضة العلمية الحديثة، مجموعة من العلماء والباحثين الذين سخروا النفس والنفيس من اجل تغيير الأوضاع السائدة في العصور الوسطى من تخلف، جور وتبعية. فظهر بذلك مجموعة من العلماء أهمهم:

- **كوبرنيك: {1473 - 1543 م}**

{وهو صاحب الثورة المشهورة باسمه "الثورة الكوبرنيكية" على علم الفلك البلطيمي –نسبة الى بلطيموس–ففي حين كان بطليموس يعتقد بان الأرض ثابتة، وهي مركز الكون، وبان الشمس وسائر الكواكب تدور حولها رأى كوبرنيك العكس أي ان الشمس ثابت وهي مركز الكون، وان الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس}[1].

من هنا كانت هذه المحاولة بمثابة حرب شنها كوبرنيك ضد تعاليم الكنيسة، وضد مبادئ ومعتقدات المجتمع آنذاك، فأحدث بذلك شرخ كبير في المبادئ والقيم الاجتماعية. لذلك تعرض لضغوطات

1) مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت و منهجه، المرجع السابق، ص ص 80-81.

كبيرة وعلى جميع الأصعدة وتلقى صعوبة كبيرة في تقبله من طرف الناس خاصة وانه يتحدث عن أشياء لا يمكن التحقق من وجودها على الأرض، ومن ثم كان كوبرنيك اول صرخة حرية ضد المعتقدات الكنسية، سار على خطاه غاليلي، لكن كيف كان مصيره؟

- غاليلو: {1564 - 1642 م}

{كان يؤمن بأفكار ديكارت. ويرى بان الملاحظة والتجربة هما اساسا العلم الحديث، كما تنسب اليه مجموعة من الاختراعات منها: الترمومتر، تطور التليسكوب، اختراع الساعات، وغيرها. اعتبر الكون عبارة عن كتاب رياضيات لذلك لابد من فهم رموزه أولا. اضف الى ذلك ينسب اليه قانونا: القصور الذاتي، وقانون الاجسام الساقطة....الخ}[1].

وبالتالي غاليلي صاحب التوجه الرياضي، ساهم بالعديد من الابتكارات والابداعات التي جعلته يحفظ في ذاكرة الامة خاصة قانوني: القصور الذاتي الذي اقر فيه ان كل جسم متحرك يسير في حركة خط مستقيم الا إذا طرأت عليه قوة تغير من حركته وثانيا قانون الاجسام الساقطة وبان سرعة الاجسام في سقوطها لا تغيرها الا إذا طرأ عليه عامل الهواء. رغم كل هذه الابداعات التي قدمها الا انه كان مهدد من طرف الكنيسة، وذلك لأنه سار عكس مسارها وافكارها لذلك قتل، تأثر به ديكارت أيما تاثر خاصة وانه كان من مؤيديه.

من هنا وانطلاقا مما سبق نصل الى القول بان التطور الحاصل في العلم، كان بمثابة الحافز للنهوض بمختلف مجالات التفكير الأخرى، بما في ذلك الفلسفة، لتظهر بذلك فلسفة حديثة بملامح جديدة.

ب) الفلسفة الحديثة:

1) مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت و منهجه، ص81.

"عرفت العصور الوسطى ظهور فلسفتان: الإسلامية والنصرانية **{وما انجر عنها من إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين او بين العقل والنقل}** كما اقسمت هذه الأخير اي النصرانية الى عصرين كبيرين" [1].

العصر الأول: أهم ما ميزه هو قيام اباء الكنيسة بتقوية انفسهم ماديا و دينيا بوجه الديانة الوثنية،واهم هؤلاء الفلاسفة على الاطلاق هو اوغسطينوس (354 430 م) وكان ذلك حتى القرن 9م.

العصر الثاني: وينطلق هذا العصر {من القرن 9 الى 15 م} ولقب بالعصر المدرسي، لان اباء الكنيسة لهذا العصر كانوا فلاسفة قبل ان يكونوا كهنة ويحملوا على عاتقهم مسؤولية تعليم الناس في الكنائس ،وذلك بحسب توجهات واهداف الكنائس والاديرة.

وبالتالي تنقسم الاتجاهات الفلسفية في العصر المدرسي الى قسمين رئيسيين:

{الافلاطونية والارسطوطالسية أو المشائية: حيث كانت الأولى متاثرة بافلاطون او مايطلق عليها بالافلاطونية ،اما الثانية فهي خاضعة لاراء ارسطو ونفوذه اعتبارا من القرن 13 م}[2].

وبالتالي تمخضت عنها مجموعة من الأفكار التي دعت اليها فيما بعد الفلسفة المدرسية وتناولتها كمبادئ منها: فكرة الموجود الكامل، العناية الإلهية، فكرة التفاؤل ... الخ

كان لهذه الفلسفة المدرسية موضوعاتها الخاصة بها ،وكانت انطلاقتها من القرن 9 حتى القرن 13 م، مثلها جملة من الكهنة والرهبان التابعين للكنيسة ،حيث تولوا عملية تدريس الشباب والترسيخ في اذهانهم تعاليم المسيحية،بالإضافة الى الاعتماد في فلسفتهم على نموذجي افلاطون وأرسطو.

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم، المرجع السابق، ص19.
2) إبراهيم مصطفي إبراهيم : المرجع السابق، ص19.

{كانت لتعاليم أفلاطون في الشطر الأول من العهد المدرسي الغلبة والذيوع فلما اقبل القرن الثالث عشر أخذت ترجع كفة الفلسفة الأرسطو طاليسية – فلسفة المشائين – وبدأت تغزو المدارس والجامعات }[1]،

ومن ثم فالفلسفة في العصور الوسطى كانت تسير في نطاق معلوم، مؤداه نموذجين أساسين: أرسطو وأفلاطون، وكأن الفلسفة انتهى تكوينها وتمام امرها ووصلت الى الكمال مع هذين الفيلسوفين.

وبالتالي ففلسفة العصور الوسطى كانت تسير وفق توجهات كنسية محضة لهذا نجد ما يلي:

{اشتهرت الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى باسم الفلسفة المدرسية أو الفلسفة السكولاثية scholasticism وهي الفلسفة التي كانت تعلم في المدارس schola وتبناها ودافع عنها المدرسين الذين كانوا يعلمونها وخريجوا المدارس الذين يتخرجون منها}[2].

ما يمكن استخلاصه هنا، هو ان الفلسفة السكولائية بعثت على الاختلاف حول تاييدها من رفضها بين فريق الفلاسفة، لذلك كان هناك من اعتبرها اخر الابداعات في الفلسفة بتمام مناهجها، لذلك صرحوا بان كل ما هو لاحق عنها ما هو الا تحصيل حاصل لتلك الأفكار، وهناك من نقدها في عنصر او احدى عناصرها، في حين هناك وجهة ثالثة، وجهت لها نقد لاذع، واعتبرتها أساس التأخر والرجعية وهو الاتجاه الذي ينتمي اليه فيلسوفنا ديكارت، والذي انطلق وقبل كل شيء من رفضه للسكولائية وللتعليم المدرسي. خاصة بعد قتل جاليلو، كما انه رافض لفكرة السيطرة المطبقة من طرف الكنيسة، والتي تعمل على مبدأ الخضوع والتبعية المطلقة للأفراد نحو الكنيسة هذا من جهة، اما من جهة أخرى تربط أفكار الناس بالقديم وفقط، وكان الفلسفة انتهت وأصبحت تامة التكوين مع ارسطو وافلاطون، ولا ينبغي وجود ابداعات جديدة، وراى ان هذا المنظور التقليدي القديم يعمل على كبح الإمكانيات ويصد الباب امام الابداعات والابتكارات الجديدة ،في حين الفلسفة متواصلة وقادرة على تقديم البدائل المعرفية.لهذا اسند اليه مايلي : **{وعلينا الا ننسى بان ديكارت**

1) زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 24.

2) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع السابق، ص ص ص 14-15-16.

يريد ان يحرر الفلسفة من رقبة السكولائية أي الارسطية المهيمنة، وخير طريق لبلوغ ذلك الاقلال من أهمية كل الاقدمين لفتح الطريق امام كل فكر جديد}[1] فالفكر السكولائي في نظر ديكارت **{اي الفكر المدرسي}**، هي سبب تأخر الفكر الفلسفي ،وذلك من منطق سياسة الهيمنة او الوصاية على العقل التي مارسها رجال الدين **{الرهبان آنذاك}** على شباب العصور الوسطى، فكانو بذلك يمنعون أي تطور او تطوير في الفكر الفلسفي الإنتاجي أي ان السكولائيين يعملون على تقييد حرية الافراد، هذه النظرة الديكارتية، تدفعنا الى التنقيب في حياته للكشف عن منطلقاته المعرفية و توجهاته الفكرية الصحيحة. هذا يجعلنا نطرح التساؤلات التالية: كيف كانت حياة ونشأة ديكارت؟ وماهي اهم المحطات الفكرية الاعمال المقدمة من طرفه؟

1) رينيه ديكارت: انفعالات النفس، تر: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص15.

ثانيا: ديكارت حياته، نشأته واعماله

1) حياته و نشأته:

{ديكارت فيلسوف فرنسي كبير ، ولد في 31 مارس 1595م بمدينة لاهية.يعد رائد الفلسفة الحديثة،وفي الوقت نفسه رياضيا ممتازا لذلك نجده قد ابتكر الهندسة التحليلية. درس بمدرسة لافليش للسيوعيين. بدأ مرحلته الفلسفية في البحث عن معرفة يقينية مشابهة لذلك اليقين والدقة الموجودة في العلوم الرياضية، انتقل فيما بعد ليتحصل على شهادة ليسانس في القانون، الى جانب الدراسة انخرط ديكارت فيما بعد في صفوف الجيش...} [1] لكن نضرا لجسده النحيل وصحته التي لا تقوى اعتزل الجيش ،واخذ يجول العالم باحثا عن هدوء الارجاء ليتيح له ذلك التأمل ومن ثم الابداع في مجال الفلسفة.

مما سبق يمكن التاكيد بان ديكارت درس في مدرسة اليسوعين–مع العلم ان هذه الجماعة هي الاتجاه الثاني في حركة النهضة–، لكن أكثر ما لفت انتباهه واهتمامه هو الدقة واليقين الموجود في الرياضيات، كما عرف على ديكارت رغبته في العزلة ليفتح له المجال للتفكير دون أي تشويش تحصل ديكارت على شهادة ليسانس في القانون بعد ذلك توجه الى الانضمام الى صفوف الجيش لكن لدواعي صحية خرج من الجيش. شهدت حياته العديد من السفرات الى ان استقر في نواحي مدينة اولم {جنوبي المانيا} اين استقر في غرفة توسطتها مدفأة أطلق عليها المؤرخون اسم "مدفأة ديكارت" **[وفيها حدثت الرؤية العجيبة وهي رؤيا علم رياضي على شكل 3 أحلام فسرها ديكارت بانها دعوة لإنشاء علم مدهش من أجل ذلك سافر ديكارت الى شمال فرنسا باحثا عن الخلوة والهدوء في الريف ومن أجل هذا المبتغى الأخير سافر الى هولندا واستقر فيها حتى نهاية حياته]**[2].

1) عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص ص 488 489.
2) فؤاد كامل وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1، ص ص 189–190.

اهم ما تميز به ديكارت خلال هذه الفترة هو تعرضه الى 3 أحلام اعتبرها ديكارت دعوة صريحة موجهة اليه من اجل بناء علم حقيقي له مصداقية وفعالية على ارض الوجود. وكانت هذه الاحلام والرؤى الثلاث لها تأثير واضح في حياته وفي مشواره الفلسفي. **{اما شخصية ديكارت كانت موضوعا كبيرا للنقاش والتحليل فميله الكبير الى التكتم بالإضافة الى ميله شيئا فشيئا الى ان يخفى كل اهتماماته}**[1].

وبالتالي نصل الى القول بان فيلسوفنا ديكارت شخصية تخفي في طياتها عبقرية فذة تميل الى العزلة والانطواء باحثا عن سكينة الارجاء التي تهيئ له الجو الملائم لاستظهار مواهبه وابداعاته في مجال المعرفة بوجه عام والفلسفة بوجه خاص. ولعل ما وصل الينا عن هذا الفيلسوف كان نتيجة كتبه ومؤلفاته، لعل اهمها فيما يلي:

2) مؤلفاته:

قدم ديكارت لغيره من الفلاسفة والباحثين، جملة من الكتب والمؤلفات التي يوثق فيها أفكاره وآرائه الفلسفية التي تخصه وحده. تنوعت مؤلفاته بين:

كتب في :

قواعد لهداية العقل: هذا الكتاب عنوان لمنهج جديد تم وضعه من قبل ديكارت حاول من خلاله التوصل الى الدقة واليقين الموجود في العلوم الرياضية، والذي ألفه في سنة 1628م ولكن لم ينشر الا بعد وفاته.[2]

العالم أو كتاب النور: وهو عنوان رسالته تراجع على نشرها بسبب سماعه عن ادانة جاليلو وذلك لان مضمونها كان يدعوا الى المذهب الكوبرنيكي، والذي الفه في بداية الستينات من القرن 17م[3].

1) زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1، ص 189.

2) دليل أكسفورد: دليل أكسفورد، المكتب الوطني للبحث والنشر، تر: نجيب الحصادي، ليبيا، ص 366.

3) فؤاد كامل وأخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم بيروت، ص 189.

3 مقالات في موضوعات فيزيقية رياضية، اتبعها بـ "**مقال في المنهج**"[1].

تأملات في الفلسفة الأولى: و الذي ألفه سنة 1641م.

مبادئ الفلسفة: هذا الكتاب صدر عام 1644م، يفسر فيه اصل الكون والاشياء بالرجوع الى المادة، زان هذه الأخيرة أي المادة في حالة حركة ومنها تتشكل الاجسام.[2]

كتب في علم النفس:

كتاب في النفس: انفعالات النفس وهو اخر مؤلفاته الذي صدر عام 1644م، وهو يحتوي على أرائه في النفس.[3]

كل هذه المؤلفات انطوت على افكار ديكارت، توجهاته و نظرياته المعرفية والتي سيكون علينا ايضاح هذه الاخيرة) اي نظريته المعرفية(والكشف عنها في المبحث التالي.

1) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

2) دليل أكسفورد: المرجع السابق، ص367.

3) فؤاد كامل واخرون: المرجع السابق، ص368.

ثالثا: نظرية المعرفة الديكارتية:

1) الشك المنهجي والكوجيتو الديكارتي:

ان التفكير الفلسفي يمتاز بالمنهجية والبعد عن العفوية، لذلك نجد المنهج الفلسفي يمر بمراحل وخطوات محددة، يضعها الفيلسوف نفسه. والمناهج الفلسفية تختلف باختلاف الفلاسفة وباختلاف مذاهبهم، وكأمثلة على ذلك نذكر: المنهج الشكي عند ديكارت، هذا الأخير الذي اعتمده واعتبره خطوة فيصلية ومحورية لبناء معارف صحيحة ويقينية. لكن شكه هذا لم يكن هدام كما فعل الشكاك واللاادريين في عصره **{أي الشك من أجل الشك}**، وانما فعال وبناء في خدمة المعرفة، هدفه الوصول الى الدقة والوضوح في المعارف والحقائق، لهذا نجده قد وضع مختلف الأفكار والمصادر المعرفية في دائرة الشك والريب، وهو ما يمكن رصدها كالتالي:

أ) الشك في الحواس:

شك ديكارت في الحواس شك صريح ومباشر. لذلك رفض أن تكون مصدر للحقيقة والمعرفة، وذلك من منظلق انها تخدعنا في غالبية الأحيان وتضللنا في مجال اكتساب المعارف ،لذلك من الحكمة أن لا نامنها، وأبرز مثال عن خداعها : رؤيتنا لقرص الشمس الذي نراه بحواسنا بقدر دينار في حين الواقع يؤكد أنها أكثر من الارض بأضعاف، ومن ثم نجده يقول: **{كل ما تلقيته حتى الان على أنه أصدق الأمور وأوثقها، تلقيته بالحواس غير أني وجدتها خادعة ومن الحكمة الا نطمئن الى من يخدعنا ولو لمرة واحدة}**[1].

ب) الشك في المعرفة العقلية:

شك ديكارت لم يتوقف عند الحسيات بل امتد الى المعقولات والعقل ،وذلك من منطلق وجود شيطان ماكر يعبث بأفكارنا العقلية حتى في أبسط الأمور وأوضحها.لذا قيل: **{لم يكتفي بالشك في الحساب**

1) رينيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى،تر: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت، ط4، 1988، ص14.

بل شك أيضا في العقليات نفسها، اذ لاحظ أن من يحسبون أنفسهم أعلم الناس بأمر ما من الأمور قد يخطئون فيه أيضا، حتى قد افترض أن شيطانا ماكر يعبث بكل الروابط العقلية الصرفة بين المعاني والأفكار} [1]. بعد ما شك ديكارت في المعرفة العقلية، توصل الى ن المعرفة الحاصلة بواسطة الأحلام هي بذاتها عرضة للشك، خاصة وأن ما نعتقده حقيقة في أحلام الليالي يبدده ويزيله ضوء النهار، فذهب بذلك الى معارف اليقظة ،لكن سرعان ما كشف لها العديد من العيوب والنقائص .ومن ثم نقول: **{هكذا شكك ديكارت ... كذلك في المعرفة المتأنية من عالم اليقظة، وعالم الأحلام على حد سواء ...}**[2].

جـ) شك ديكارت للعلوم وللأفكار والمركبة:

النسق الصحيح في المعرفة حسب ديكارت، ينطلق من الأفكار البسيطة والواضحة، لهذا نجده شكك في العلوم التي تقوم على الأفكار الغامضة بل ان الشك والريب بها كبير، لذلك نجده يقول: **{ان علوم الطبيعة، الفلك والطب وسائر العلوم الأخرى التي تدور على الأشياء المركبة هي عرضة للشك قوي، ان الثقة بها قليلة}** [3]. في حين ما يرتبط بالحساب والهندسة أي ما يرتبط بالرياضيات والعلوم المشابهة لها ،فلا شك ولا تشكيك فيها، وذلك لأنها تنطلق من البديهيات والأمور البسيطة الواضحة ،لتكون بعد ذلك عملية التشكيك هي الأخرى واضحة ومتميزة للعقل ويسهل التأكد من مشروعيتها وصحتها .لذلك قال: **{أما الحساب والهندسة وما شاكلها من العلوم، التي لا تنظر الا في امور بسيطة جدا وخاصة جدا، دون اهتمام كبير بمبلغ تحقق الأمور في الخارج أو عدم تحققها فهي تحتوي على شيء يقيني لا شك فيه}**[4].

وبالتالي ما أراد ديكارت تأكيده هو أن 5 + 5 تساوي 10 دائما، كما أن المثلث يحتوي على ثلاثة أضلاع ولا سبيل لإضافة ضلع آخر، ومن ثم فهذه الحقائق ثابت عبر الزمان والمكان وصادقة

1) نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفلسفية الحديثة، القاهرة، 2003م، ص ص 79 80.

2) مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه، المرجع السابق، ص90.

3) رينيه ديكارت: المصدر السابق، ص15.

4) نظمي لوقا: المرجع السابق، ص80.

ويقينية على الدوام لا يطالها اي شك. لذا فان موجة الشك الديكارتي التي كان مآلها الشك في كل شيء، انتهت بديكارت الى الشك في وجوده هو نفسه، وذلك لإيمانه واعتقاده بوجود شيطان ماكر يتلاعب بفكرة وجوده ومن ثم قال: **{ماذا يكون الحال لو ان فكرة وجودي نفسها لم تكن الا من أضاليل ذلك الشيطان}** [1]. من هنا وبعدما طال الشك الديكارتي مختلف المجالات والميادين المعرفية، بدءا بالحواس ووصولا الى وجوده هو نفسه، رفع أنذاك شعار واضح وصريح مضمونة "**أنا أشك أنا أفكر، اذن انا موجود**" والذي يمكن أن نطلق عنه "**الكوجيتو الديكارتي**"، هذا الأخير أكد من خلاله ديكارت عن بصمته وحضوره الدائم في ميدان الفلسفة وحقل التخلي عن معتقداته الدينية وثقته بالذات الالهية على أنها مصدر اليقين والكمال المطلق الذي ليس بعده كمال ،لهذا نجده قد أصر على فكرة كمال الذات الالهية في مايلي:

د) الله مصدر الكمال والحقائق المطلقة:

بعد موجة الشك التي توصلت اليها الفلسفة الديكارتية، والتي تناولت كل شيء .الا ان المصدر الأول للوجود والحقيقة والذي لا يطاله أي شك فهو سبب وأصل كل الموجودات والحقائق والكمال مرتبط بهذه الذات الالهية وحدها دون غيرها، لهذا قال:**{الله هو الجوهر الذي يدرك أنه كامل الكمال الأسمى والذي لا نتصور فيه أي شيء يتضمن أي نقص أو حد للكمال}**[2]. فالله عند ديكارت هو الحقيقة الأولى والمصدر الأول لكل الحقائق والمعارف. وبالتالي بعد اعلاء صرخة الشك والكوجيتو، أكد ديكارت في مجال المعرفة على ضرورة الجمع بين الذات والموضوع، بالإضافة الى فكرة الثنائية أي المادة والروح. وهذا ما سنجده مفصلا في المطلب اللاحق:

2) المعرفة عند ديكارت:

1) رينيه ديكارت: المصدر السابق، ص15.

2) نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المرجع السابق، ص 69.

ان عنوان المعرفة عند ديكارت قائم على الجمع بين مفهومين أساسين لا ثالث لهما: أولهما: هي الذات العارفة التي تتجه نحو موضوع ادراكهما بميل واهتمام وتركيز. وثانيهما: هو الموضوع المعروف الذي يدرجه ديكارت ضمن المبادئ الفطرية والمكتسبات السابقة في اطار تلك المواضيع الخارجية التي تبرزها ذاتها كموضوع للدراسة والبحث باستمرار، فقال: **{لقد درس ديكارت هذه المعرفة انطلاقا من العنصرين المكونين: أ) الذات العارفة، مملكاتها الأربعة (الفهم، المخيلة، الحواس، الذاكرة) .ب) الموضوع المعرف، أي المعطيات الفطرية أو الطبائع البسيطة المعروفة بديهيا وطريقة معرفة شيئا انطلاقا من شيء آخر}**[1]. فالمعرفة الديكارتية بهذا الصدد اذن تجمع بين الذات الباحثة التي تنتهج العقل وأدواته المختلفة، في حين الموضوع المبحوث عنه يستدعي تلك الأفكار الفطرية التي تجعلنا ندرك ذلك الموضوع الموجود في العالم الحسي.

3) الثنائية الديكارتية (Dualisme):

في هذه الفكرة سار ديكارت عكس أنصار الواحدية، الذين يردون الوجود، اما للمادة فقط أو الى الروح فقط، في حين ديكارت أصر على الإقرار بالاثنين معا أي التأكيد على المادة والروح في تفسير فكرة الوجود. لكن مع ابراز ذلك التمايز الجوهري الموجود بينها، خاصة وأن الروح تقودنا حسب ديكارت نحو المطلق والمفاهيم الثابت لكن المادة تحيلنا نحو التغير والنسبية لذلك لا طائل من رد الأولى الى الثانية أو العكس، ومن ثم قيل: **{ عرف ديكارت بأنه فيلسوف ثنائي، وهذا يعني أنه يعتقد في ثنائية الروح والمادة أي عدم إمكانية رد الروح الى المادة أو رد المادة الى الروح: فلكل منها طبيعته المستعملة المتمايزة }**[2]. بعد الوصول الى فكرة الثنائية، نكون قد وضحنا النظرية المعرفية لديكارت. لنكون بعد ذلك امام التطرق الى الفصل الثاني والذي نتناول فيه المنهج الديكارتي . وبالتالي السؤال الذي يطرح نفسه هنا : ما دلالة المنهج عند ديكارت؟ ماهي اسسه و قواعده؟ كل هذه الاسئلة سنقوم بالاجابة عنها فيما سياتي.

---

1) رينيه ديكارت: العالم او النور، تر: اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص 9.

2) عبد الوهاب جعفر: أضواء على الفلسفة الديكارتية، الفتح للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003م، ص 38.

الفصل الثاني

أسس وقواعد المنهج الديكارتي

أولا: المنهج ودلالته

1- لغة.

2- اصطلاحا.

3- دلالة المنهج عند ديكارت.

ثانيا: أسس المنهج الديكارتي

1- البداهة:

أ) الوضوح

ب) التسيير

2- الاستنباط

ثالثا: قواعد المنهج الديكارتي

1- قاعدة البداهة والوضوح

2- قاعدة التحليل

3- قاعدة التركيب

4- قاعدة الاستقراء

لقد استحق ديكارت لقب "**أبو الفلسفة أو الفلسفة الحديثة**" ، خاصة بعد لبداعه لمنهج فلسفي استطاع من خلاله أن يبرهن عن جدارة واستحقاق اللقب السابق فهو بذلك نجده قد رسم بمنهجه خطوات ثابتة وقواعد جلية اراد من خلالها أن يثبت قيمته وأهميته الفلسفية بالإضافة الى ان القواعد أو الخطوات الأربعة التي حددها ضمن السبيل الديكارتي تدفع نحو اليقين والجلاء، فكانت بذلك المعرفة تسير في طريق مشابهة لطريق العلم أي يحكمها ضوابط وأسس تضمن بذلك النجاح والنجاعة في مجال المعرفة الفلسفية، فكان بذلك المنهج الديكارتي هو بصمة الفلسفة الديكارتية التي أخرجت الفلسفة والفكر الفلسفي من دائرة التفكير الفوضاوي والعشوائية التي عانت منها طيلة فترات طويلة وطبعت التفكير بالرتابة والجهود فكان بذلك المنهج الديكارتي بمثابة المنقض من الضلال والأغاليط التي انتشرت وذاعت في الأوساط الفكرية طيلة عصور ممتدة، فكان منهجه بذلك يعمد الى مجموعة من الأسس والقواعد الواضحة والجلية بذاتها والتي تمهد الوصول الى الحقائق اليقينية والثابت والفعالة بشكلها الايجابي في مجال المعرفة والحقيقة الفلسفية. وبذلك يكون لزاما علينا هنا ان نضبط مفهوم المنهج حسب المدلول الديكارتي ونحدد اسسه ونكشف عن خطواته ،والتي ستكون كما يلي :

أولا: المنهج ودلالته:

1- لغة واصطلاحا:

أ) لغة: هو طريق نهج بين واضح

قال أبو كبير {فأجزته بأفلا تحسب أثره نهجا، ابان بذي فريغ مخزف والجمع نهجات ونهج ونهوج }

وسبيل منهج: كنهج.[1]

- ومنهج الطريق: وضحه

المنهاج كالمنهج

- وأنهج الطرق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا.

- المنهاج: الطريق الواضح.[2]

ب) اصطلاحا:

المنهج **{ بوجه عام هو وسيلة محددة توصل الى غاية معينة }** [3] فالمنهج اذن هو طريق يقوم على مجموعة من الأليات و الوسائل، ويهدف الوصول الى جملة من النتائج والأهداف.

أما في معجم أندري لا لاند **{ هو برنامج ينظم مسبقا سلسلة عمليات ينبغي اكمالها وتدل على بعض الأخطاء الواجب تجنبها، بغية بلوغ حقيقة معينة }** [4]، من هنا نستطيع القول بأن المنهج هو سبيل الباحث من أجل حصر الحقائق، لهذا نجد: **{المنهج هو طريقة محددة لبحث الموضوع المقصود، وانه يرتبط ارتباطا لا ينفصم عن اتجاه الباحث وفلسفته }** [5] وبالتالي المنهج هنا يتبع الباحث وتوجهاته الفلسفية ليكون بذلك مرأة عاكسة لمذهبه وافكاره، لهذا كان المنهج **(هو الطريق الموصل بصحيح النظر فيه الى المطلوب)** [6] وبالتالي

---

1) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص ص 4554-4555.

2) حنان قصبي: في المنهج، ط1، دار بوبقال للنضر، المغرب، 2015، ص10.

3) إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1983، ص195.

4) اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت ط2، 2001م، ص ص 803-804.

5) محمد جواد فغنية: مذاهب فلسفية (قاموس المصطلحات)، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، لبنان، ص228.

6) عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص845.

ان المنهج هو ذلك المجال الذي يتبعه الباحث،المفكر والفيلسوف لدراسة المواضيع والمشكلات التي تواجهه باستمرار والتي يسعى فيها الى بلوغ مطالب وغايات.

وعلى وجه التحديد فالمنهج هو: **(الطريق الواضح في التعبير عن شيء، في عمل شيء او في تعليم شيء، طبقا لمبادئ معينة، ونظام معين وبغية الوصول الى غاية معينة).** فالمنهج اذن يقوم على ادوات، ويكفل الوصول الى نتائج .

– ومن ثم نجد ان ظهور هذا المصطلح كان في القرن 17م، مع العديد من الفلاسفة أمثال: ديكارت في كتابه (مقال في المنهج)، فرنسيس بيكون الأرجانون الجديد **(ومالبرانش)** البحث عن الحقيقة ...وغيرهم من الفلاسفة.

تتعدد المناهج الفلسفية بتعدد توجهات الفلاسفة والباحثين هذا من جهة، ومن جهة ثانية بفعل طبيعة المواضيع المطروحة للدراسة والبحث لهذا نجد:

– **المنهج العلمي:** الذي يعتبر خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية وحسية،بغية الوصول الى اكتشاف حقيقتها او البرهنة عليها.

– **المنهج التاريخي:** وهو منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ[1].

– **المنهج المقارن:** وهوالمنهج المستخدم في العلوم الاجتماعية.

– **المنهج الذاتي:** وهو الاستبطان الذي لا يدرك الأما يبدوا للشعور في لحظة ما[2]....وغيرها من المناهج الأخرى التي يعتمد عليها المفكرين والباحثين من اجل الابتعاد عن الأخطاء والمزلات وسلك سبيل اليقين والحقائق الصحيحة والواضحة.

2) دلالة المنهج عند ديكارت:

1) إبراهيم مذكور: المرجع السابق، ص195.

2) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

المنهج عند ديكارت هو مجموعة من الخطوات الواضحة والبينة الهدف من ورائها هوالوصول الى تلك الحقائق اليقينية والثابت وحصد سبيل الرشاد. لهذا نجده يقول :**{المنهج هو عبارة عن قواعد مؤكدة بسيطة اذا راعاها الانسان مراعاة دقيقة، كان في مأمن من ان يحسب صوابا هو خطأ }**[1] اي الابتعاد عن كل ما من شانه ان يوقعنا في المطبات و ضروب النقصان.

من هنا كان المنهج الديكارتي هو تأكيد لرفضه للمنهج الأرسطي الذي ساد طيلة قرون طويلة بعد سيادة ذلك الاعتقاد بانه النموذج الأمثل لحماية العقل ومنعه من الوقوع في الزلل والخطأ. ليقوم ديكارت بانتهاج منهج جديد اعتبره سبيل الوضوح واليقين في المعارف وتحصيل الحقائق أكثر من أي منهج آخر، لهذا فهو يقوم على مجموعة من الخطوات والمراحل التي يمكن رصدها كالتالي:

{كل الطريقة تمكن في ترتيب وتنظيم المواضيع التي توجه اليها نظر فكرنا بغية اكتشاف حقيقتها نراها بدقة اذا حولنا القضايا المعقدة والغامضة الى قضايا أكثر بساطة، واذا حاولنا بعد ذلك، ذهابا من حدس القضايا البسيطة، أن نرتفع وبالدرجات الى معرفة بقية القضايا } [2]

فالخطوة الأولى في المنهج الديكارتي: قائمة حول الرفض والتشكيك في مصداقية الأفكار المعقدة والغامضة التي تنطوي عليها معارفنا. أما الخطوة الثانية: فهي تسير على تبسيط الأفكار المعقدة والمركبة الى بسيطة واضحة، وذلك بالاعتماد على الحدس العقلي. وديكارت يؤكد أيما تأكيد على هذه الخطوة (أي الحدس العقلي) لهذا قال **{ لا أعني بالحدس شهادة الحواس ... وانما أعني ما تتصوره النفس الخالصة المنتبهة تصورا ينشأ من نور العقل**

1) رينيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 371.
2) رينيه ديكارت: العالم أو النور، تر: اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، 1999، ص ص 9-10.

وحده ... }[1]، أما الخطوة الثالثة: فهي تسير وفق الارتقاء والارتفاع من تلك الأفكار البسيطة الواضحة الى الأفكار المركبة. أما الخطوة الرابعة: فهي عملية تقصي واستقراء لكافة المراحل والخطوات السابقة، وبحث عدم اغفال أي جزئيةاو عنصر.هذه هي اهم المراحل التي نادى بها ديكارت في منهجه الفلسفي،لنصل بعد ذلك الى ضبط اهم الاسس التي جاء بها منهجه، وهي كما يلي:

1) مراد وهية: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص271.

ثانيا: أسس المنهج عند ديكارت:

اعتمد ديكارت في منهجه الفلسفي على أسس معينة من أجل الوصول الى الوضوح واليقين الذي يرغب به ،من بين هذه الأسس ،نجد أساسين هما:

1- البداهة.

2- الاستنباط.

1) البداهة: {Evident – Evidente}:

{البديهي لغة: من البديهة أي المفاجأة نقول فلان صاحب بداهة أي يصيب الرأي في أول ما يفاجأ به.

أما اصطلاحا: {فهو الذي لا يتوقف حصوله في الذهن على نظر أو كسب[1]}. اي بمجرد تلقي الذهن لهذه الافكار البديهية يفهمها ويستوعبها، وبالتالي **{الواضح عند ديكارت ما يكون ماثلا وظاهرا أمام الذهن،بحيث لايقبل الشك محال وهو احد شقي اليقين}[2]** اي ان الافكار والقضايا الواضحة ليست في حاجة الى البرهان لنفهمها ونعقلها وانما وضوحها في ذاتها يجعلها محل استيعاب واتفاق بين جميع الناس، وفي هذا الصدد نجد ديكارت يقول: **{ينبغي ألا أقبل شيء على انه حق مالم يتبين بالبداهة على انه كذلك}[3]** ومن ثم فالشيء البديهي يؤسس للفهم والاستيعاب لا للاختلاف والتشكيك ومثال عن ذلك :الكل اكبر من الجزء، كل جسم مادي له شكل، حجم ووزن..... الخ. من هنا يميز ديكارت بين الامر البديهي وبين الحدس على اعتبار ان الحدس يتطلب السرعة في الزمن في حين البداهة لا تتطلب ذلك

1) مراد وهبة: المرجع السابق، ص ص 135 136.

2) رينيه ديكارت: مقال عن الطريقة، تر: محمود محمد الخضيري، تر: محمد محمود الخضيري، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص95.

3) رينيه ديكارت: المصدر نفسه، ص 66.

الزمان ان قصر او طال لهذا قال: **{ان البداهة الديكارتية تختلف عن الحدس، والحدس عند المناطقة .... معناه سرعة الانتقال من الاشياء المعلومة الى الاشياء المجهولة، في حين ان البداهة لا تحتاج الزمن مهما قصر}**[1].

كما نجد ديكارت ايضا يميز ويفرق بين البداهة واحكام الخيال، وذلك على اعتبار ان الخيال واحكامه، تختلف من شخص لاخر في حين البداهة على العكس من ذلك اي تؤسس للاتفاق. وتاكيد ديكارت لفكرة البداهة واعتبارها هي معيار صدق الافكار لا يضاهيه تأكيد. لهذا لما سئل عن الاسباب التي تجعل من الاحكام البديهية لا يطالها الشك؟ اجاب بان ذلك يعود الى الفكرة البديهية نفسها التي تتميز بخاصيتين:

أولها: الوضوح وثانيهما: التميز. لهذا تجده يقول: **{اني قادر..... على تقرير هذه القاعدة العامة، وهي أن الاشياء التي نتذهنها بوضوح تام وتمييز تام، هي صحيحة كلها}**[2].

ومن ثم وبالتالي من خصائص البداهة نجد ما يلي:

أ- الوضوح: {Clarité}:

الفكرة الواضحة هي الفكرة التي تحمل في طياتها جلائها ووضوحها ولا تحتاج الى أي شيء آخر ليزيل عنها الغموض او اللبس.لهذا نجد: **{تكون الفكرة واضحة،اذا كانت كافية لمعرفة الشيء والدلالة كلية}**[3]. بهذا نجد أن الوضوح ياتي في مقابل الغموض واللبس.وكما سبق الذكر فالأفكار الواضحة هي الأفكار التي لا تحتاج الى تفسير او تعليل لهذا نجد ديكارت يقول: **{اني أطلق اسم الفكرة الواضحة على الفكرة الحاضرة المتخيلة لذهن منتبه بحيث لا يمكن وضع حقيقتها ولا قيمتها موضع الشك}**[4]. من ثم فالوضوح هو عنوان اليقين

1) مهدي فضل الله : فلسفة ديكارت ومنهجه، ص105.

2) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

3) ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص209.

4) جميل صليبا: العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص551.

والدقة في الأفكار والمعارف. لهذا نجد دفيد هيووم يقول: **{أن صدق الفكرة ناتج من درجة وضوحها في الذهن}**[1].

ب- التمييز: {distinction}:

الفكرة المتميزة هي الفكرة التي لا يمكن ان تمتزج او تختلط مع فكرة اخرى غيرها و ذلك نابع من صفاتها وتفاصيلها التي تجعل لها خصائص تخصها وحدها دون غيرها. لهذا نجد ديكارت يقول: **{اما الفكرة المتميزة فهي الفكرة التي بلغ من وضوحها ودقتها واختلافها عن كل ما عداها انها لا تحتوي في ذاتها الا ما يبدو بجلاء لمن ينظر فيها كما ينبغي}**[2].

2- الاستنباط: {Déducation, déduction}:

أ) لغة: نقول استخرج الماء من العين، قولهم اذا نبط الماء اذا خرج من منبعه.

ب) اصطلاحا: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة.

والمنهج الاستنباطي: déductive méthode: ما يتصف بالدقة ولزوم النتيجة عن المقدمات دون الحاجة الى التجربة [3] فيصبح معنى الاستنباط بذلك هو عملية عقلية ينتقل فيها العقل من فكرة معلومة الى فكرة مجهولة لازمة عنها ،او بمعنى اخر هو انتقال العقل من مقدمات وصولا الى نتائج لازمة عنها بالضرورة. وهنا يأكد ديكارت على ان الاستنباط اقل ثقة من البداهة، كما انه يكون عرضة للشك والريب .لهذا نجده يقول :**{ان الاستنباط اقل مرتبة من البداهة، فالفكرة البديهية لا تثير ادنى شك في صدقها، أما الفكرة المستنبطة فيمكن الشك فيها}**[4]. اذن ان المنهج الديكارتي كما سبق الذكر قائم على جملة

1) مهدي فضل الله: المرجع السابق، ص106.
2) جميل صليبا: المرجع السابق، ص551.
3) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص57.
4) مهدي فضل الله: المرجع السابق، ص107.

من الاسس والمبادئ، التي يتحصن بها من اجل تفادي الوقوع في الاخطاء والمغالطات، وانه يهدف من ورائها الى حد اليقين و الدقة. ومنه بعد تحديد الاسس نصل الى الكشف عن اهم الخطوات التي ينطوي عليها ذلك المنهج والتي هي كما يلي:

ثالثا: قواعد المنهج الديكارتي

1) قاعدة البداهة والوضوح:

تاثر ديكارت بالرياضيات يبدو جليا في هذه القاعدة حيث نجده قد نقل قاعدة البداهة الرياضية الى مستوى الفلسفة لذلك نجده يقول: **{كنت التذ خاصة بالرياضيات ليقين براهينها وجلائها}**[1].

قبل التطرق الى هذه القاعدة يجب ان نضبط ونعرف المصطلح أولا:

أ) البديهي لغة:

{البديهي هو المرتجل وهو مايفهم أو يدرك بالفطرة، الضروري في نظر العقل}[2] ومنه فالبديهي هو الامر الواضح بذاته لايحتاج الى غيره، ليفك الغموض والالتباس عليه، ومن ثم فالامور البديهية هي القضايا الواضحة التي لا يختلف حولها اثنان، وهذا ما جاء في معجم مراد وهبة عندما قال بان :**{البديهيات هي قضايا واضحة بذاتها وليست في حاجة الى برهان}**[3] وهذه البديهيات استقاها واستنبطها ديكارت من المبادئ الرياضية، فالرياضيات تعتمد على البديهيات من اجل الوصول الى الدقة واليقين الرياضي أما الوضوح فقد عبر عنه ديكارت بقوله: **{ان الأشياء التي نتذهنها بوضوح وتمييز، هي وحدها المقنعة تماما}**[4] لذلك فالأفكار الواضحة لا تستدعي وقوع الذهن في الغموض و الارتياب ومن ثم الزلل و الخطأ ومن اجل ذلك اقر ديكارت: **{انني اقول عن الادراك متميز اذا لم يكن فقا واضحا بل**

1) رينيه ديكارت: حديث الطريقة، تر: عنر الشاربي ، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، 2008م، ص 57.

2) ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص31.

3) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص136

4) رينيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية للفلسفة الأولى، المرجع السابق، ص51.

يسهل تمييزه بدقة عن الجميع الادراكات الاخرى لدرجة عدم احتوائه على اي عنصر غير واضح}[1] وبالتالي فالوضوح هو عنوان لسلامة الذهن ووقايته من كل انواع.

اذن ديكارت يؤكد ان اولى الخطوات التي يجب ان يعتمد عليها الباحث في عملية الانطلاق من افكار بسطة وواضحة بذاتها، والتي لا تحتاج الى برهان او دليل يثبتها في مثال عن ذلك الكل أكبر من الجزء، 2=1+1 فهذه الامور بديهية – إذا تم الانطلاق منها سنصل بالتأكيد الى احكام ونتائج الدقيقة واليقينية. ومن ثم اصر ديكارت على ضرورة التحلي بالروية والتعقل دراسة المنطلقات الفكرية التي تبدو من الافكار الواضحة لذلك قال: **{الاول الا اقبل شيء ما على انه حق ما لم اعرف يقينا على انه كذلك بمعنى ان اتجنب بعناية التهور والسبق الى الحكم قبل النظر ...}**[2] .

وبالتالي الابتعاد عن كل ما يشوش تفكيرنا ويوقعه في الاخطاء والمزلات ومن ثم ضرورة ازالة من اذهاننا كل تلك الافكار الغامضة والغير واضحة التي تجعلنا محط اختلاف وتناقض بعدما كان العقل "اعدل قسمة بين البشر" فالطبيعة اذن تقر بالتساوي لكن الافكار الغامضة نجعلها محط تنوع وتباين، لذلك نجد ديكارت قد دع الى ضرورة الشك في تلك الافكار الغامضة او المختلطة ولا نأخذها كأفكار الا بعد تجليها وتوضيحها امام العقل كأفكار بديهية حيث نجد قدم مثال في ذلك سلة التفاح اذا كان نصفها بالسلة عطب والنصف الاخر سليم فمن الافضل القاء العطب منها وادخال التفاح السليم وارجاعه الى السلة. كذلك الافكار ، فمن الاحسن طرد من الذهن كل ما يسبب القلق والغموض و الا بقاء

1) ديف روبنسن، جودى جروفز: أقدم لك... ديكارت، تر: امام عبد الفتاح إيمام، الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية، القاهرة، 2001، ص29.

2) رينيه ديكارت: مقال عن الطريقة، المرجع السابق، ص 95.

على الافكار الواضحة بذاتها لهذا نجد: **{واول خطوة من خطوات منهج توضيح الافكار عند ديكارت هي الشك الذي يضمن لي عدم وجود أفكار غامضة مشوهة في عقلي}** [1].

فبهذه الخطوة نهيأ ونصل بفكرنا الى السعي نحو اليقين الاول او ما يمكن أن نطلق عليه "يقين الكوجيتو"، وبالتالي فهذه المرحلة رصدها ووضحها ديكارت كما يلي:**(اي الاول: هو عدم تلقي اي معرفةعلى انها ثابت ومطلقة، وهذا من الواضح انني لااعلمه على هذا النحو،اي ان اتجنب بعناية التهور و الثقة بالمعارف. وان لا افهم شيئا في احكامي اكثر مما يبدو واضحا ومميزا جدا في ذهني ،وانه لدي اي فرصة للتشكيك فيه)** [2]

2- قاعدة التحليل:

أ) ضبط المصطلح: {ANALYSE}

{منهج عام يراد به تقسيم الكل الى اجزائه ورد الشيء الى عناصره المكونة له}[3]. وبالتالي فالتحليل هو التقنية الثانية في المنهج الديكارتي، قائم على تقسيم المشكلة المعترضة الى ما يمكن من الاجزاء والمشكلات ليتم تبسيطها وتوضيحها أكثر ،وبالتالي عندما يتم تقسييم المشكلة المطروحة الى اكبر عدد ممكن من القضايا نصل الى فهم كل واحدة على حدى فتكون بذلك الرؤية واضحة ومتميزة، لذلك يقول ديكارت: **{الشرط الثاني هو ان اقسم كل مشكلة ابحثها الى اكثر ما يمكن من الاجزاء ليتسنى لي حلها بصورة افضل}**[4] اي تقسيم الافكار المركبة والمعقدة الى اكبر جزء من القضايا الجزئية ليسهل فهمها وتناولها بيسر بواسطة العقل في مثال عن ذلك: 10، 15، 25 هي سلسلة مركبة لكن عندما نقوم بتقسيمها

1) يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993م، ص 52.

2) René Descartes : Discours de la méthode, Librairie de L.Hachette et Giu, Paris, 1856, p 17.

3) ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص40

4) جنفياف رودليس لويس: ديكارت والعقلانية، تر: عبدة الحلو، منشورات عويدات، بيروت، ط1، ص132.

نتحصل على ما يلي: 5x2=10 ، 5x3=15،، 5x5=25، ومن ثم تقسيم المدركات الكلية الى وحدات جزئية يصبح التعامل معها سهل وميسور وواضح أمام العقل، فعملية التحليل هذه حسب ديكارت تستدعي افتراض الحدود المجهولة انطلاقا من الحدود المعلومة في مثال عن ذلك: البدء من 12 ..... وصولا الى 6. اذن لابد من إدراك الحدود الوسطى المجهولة. و من ثم: **{نقسم كل مشكلة من المشكلات التي نبحثها بقدر ما نستطيع الى ذلك سبيلا ، وبمقدار ما تدعوا الحاجة الى حلها على افضل وجه}**[1]. فكانت هذه الخطوة الثانية أو التحليل هي خطوة مدعمة لفكر تبسيط الافكار وتليينها امام العقل الانساني ،ليتسنى لنا ضبط مختلف الافكار الغامضة والمركبة، فتبسيط المركب الى البسيط هو ما يجعلنا اكثر فعالية في التعامل من المعاني والمفاهيم **{وقد استخدم المنهج التحليلي الذي يفترض مشكلة محلولة ويفحص نتائج الافتراض}**[2]. ومن ثم فالتحليل يعبر عن تأثير ديكارت الواضح بالمنهج الرياضي و الاستفادة منه في مجال الفلسفة **{ولابد ان اراعي بعض الخطوات الهامة في منهج تفكيري مثل تقسيم المشكلة التي اواجهها الى اجزاء متعددة كي تزداد وضوحا، ينبغي أن أصل الى عناصر البسيطة للمشكلة و انتقل الى كيانها الى البسيط أو من تصورها الكلي الى تصوراتها الجزئية}**[3] ومن ثم فهذه المرحلة هي التي تجعل الذات الباحثة والمفكرة عن الحقائق تتضح وتظهر بجلاء بعد تعقدها وصعوبتها في اطارها الكلي، لهذا نجد ديكارت يقول :

والثاني هو تقسيم كل من المشكلات والصعوبات التي افحصها الى أكبر عدد ممكن من الاجزاء والتي ستكون مطلوبة لحلها بشكل أفضل في المرحلة اللاحقة والتالية عنها.

3- قاعدة التركيب والتأليف:

1) René Descartes : op.cit, p 17.

2) برقراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، (تر) فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب 1977 ص108.

3) يحي هريدي، المرجع السابق ص56.

جاء في معجم جلال الدين سعيد على ان التركيب هو: **{إعادة بناء الكل بالاعتماد على العناصر التي ميزناها في التحليل، وهي العودة من البسيط الى المركب ويمكن للتركيب أن يكون فكريا في بناء النظريات، او واقعيا ماديا ....الخ}**[1] .

من هنا نستنتج ان التركيب يأتي في مقابل التحليل، أي القيام بعملية عكسية. فبعدما تم فصل الأجزاء في مرحلة سابقة، نكون خلال هذه المرحلة بصدد تركيبها وجمعها من جديد .ليكون بذلك التركيب هو الانطلاق من الجزئيات الى الكليات، لذلك صرح ديكارت بقوله: **{يبدو لي انني استطيع الزيادة بها في معرفتي حسب التدرج، والارتفاع بها شيئا فشيئا الى أعلى نقطة}**[2]. فالتركيب هنا قائم في جمع الجزئيات المفصلة،و يكون لغاية مفادها بناء معرفة منظمة .لتصبح بذلك الأفكار المركبة، بديهية،جلية وواضحة لوضوح تفاصيلها وجزئياتها البديهية، لذلك قال ديكارت: **{ان اسير افكاري بنظام، بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج حتى أصل الى معرفة أكثرها تركيبا وان افرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها الاخر بالطبع}** [3].

فقاعدة التأليف هذه تكون بجمع الأجزاء البديهية الواضحة التي لا شك ولا تشكيك فيها، فهذه الخطوة متبعة في الرياضيات، من هذا المنطق نستطيع القول بان التركيب يأتي كعملية عكسية للخطوة السابقة عنها، فاذا كان التحليل هو تبسيط المركب والمعقد الى ما يمكن من الأجزاء ،فان هذه الخطوة قائمة على جمع وتأليف تلك الأجزاء السابقة وتوحيدها لنصل الى المعارف والحقائق اكثر تنظيم .وهذا ما عبر عنه ديكارت في قوله:**{ينحصر المنهج بأجمعه في ان ترتب وتنظم الأشياء التي ينبغي توجيه العقل اليها لاستكشاف بعض الحقائق}**[4].

1) جلال الدين سعيد: المرجع السابق، ص 42.
2) رينيه ديكارت: حديث الطريقة، المرجع السابق، ص42.
3) رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، المرجع السابق، ص 111.
4) مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه، المرجع السابق، ص111،

من هنا نجد ان ديكارت اعد على أهمية الخطوة في تأسيس الصحيح لقيادة العقل الإنساني من الوقوع في الزلل والأخطاء وذلك على اعتبار ان هذه المرحلة يتم صياغة الأفكار يتم بعد ذلك اعتمادها كمبادئ ومنطلقات علمية ومعرفية.

ومن ثم بعد الخطوة التحليلية السابقة نصل الى جمع تلك الأجزاء والتقسيمات لنستطيع تأسيس أفكار منظمة ومركبة بعد التقسيم، وبالتالي فان ديكارت يؤكد في هذه الخطوة كمرحلة ثالثة و تالية لخطوة التحليل **{علينا ان نعود فنسلك الطريق في الاتجاه المقابل فنسير من البسيط الى المعقد و تلك هي مهمة التأليف أو التركيب ومعنى هذا انا بعد ان نقوم بالتقسيم ثم التحليل علينا ان نقوم بخطوة ثالثة وهي عملية التركيب أو التأليف}**[1].

فكان بذلك التأليف هو عملية إعادة الأجزاء التي يتم تقسيمها بخطوة سابقة عنها، حتى نستطيع التحصل على معلومات وقوانين نستطيع محورتها والاستفادة منها فيما بعد في مجال المعرفة والعلم الواسع والمتشعب. وهذه الخطوة التي الفنا وجودها في ميدان الرياضيات، خاصة وان هذه الأخيرة أي الرياضيات تحاول جميع العلوم بما فيها الفلسفة ان تواكب ما وصلت اليه ، لذلك نجدهم يتبعون مناهجها و خطاها وذلك بغية الوصول الى ذلك اليقين الذي حصدته ووصلت اليه في مشوارها.

ومن ثم فالثالثة حسب ديكارت هي أن اقود افكاري بالترتيب، بادئا بأبسط الأمور والأشياء واسهلها معرفة، ثم ارتقي تدريجيا، حتى اصل الى معرفة تلك الحقائق المعقدة والمركبة، كما استطيع افتراض ترتيب للأشياء بين ارائك الدين لا يتبعون بعضهم البعض بشكل طبيعي. بعد هذه الخطوة الثالثة نصل الى ضرورة فحص الاجزاء والخطوات المتبعة في ما سبق، وهذا ما سنقوم بتوضيحه في القاعدة الاتية.

4- قاعدة الاستقراء التام أو الإحصاء:

1) يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 56

1) الإحصاء Statistics : {هو علم يبحث في الحصول على قيم معينة لتمثيل الاتجاهات التي تشير اليها .... وهي القاعدة الرابعة من قواعد المنهج عند ديكارت التي توصينا بقام باحصاء دقيق، انما تدعونا الى تجنب الوقوع في مغالطات الإحصاء الناقص وذلك بان نستوثق من اننا لم نغفل أي جزء من أجزاء المشكلة عن سهو او خطأ}[1]

مبدئيا يظهر ان مضمون هذه القاعدة ،يدور في عملية مراجعة لمختلف الأجزاء ،وذلك بغية التاكد بانه لم نقم باغفال أي خطوة او عنصر او جزئية. ومنه نصل الى القول بان ديكارت عكس الذين اصروا على فكرة الإحصاء الناقص والقائم على مايلي : **{الذي يقوم على اغفال عن قصد بعض الأجزاء لكن مع المحافظة على الحالات الملائمة}** . ومن ثم فديكارت مصر على المراجعة لكل العناصر والاجزاء ليكفل بذلك الوصول الى الصدق واليقين. وذلك من حيث اعتبار ان الانسان كائن نسبي معرض للنسيان والخطأ، ويعمل وفق مشاعر وعواطف قد تحيده عن طريق الموضوعية ،غير ان هذه الأخيرة(أي الموضوعية) هي شرط ضروري لابد من توفيره لانه أساس العلمية، لذلك نجده يقول:

{ان اعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على كل ثقة من اني لم اغفل شيئا}[2].

وبالتالي كانت هذه الخطوة بمثابة عملية فحصية قائمة على استدراك وتتبع الخطوات والأجزاء، لتكون بذلك عملية التحليل او التركيب عملية او خطوة منطقية تكفل لنا الوصول الى نتائج صحيحة وصادقة بالضرورة، كما هو موجود في الرياضيات فالانطلاق من مقدمات وبديهيات متعارف ومتفق عليها لدى العامة يرخص لنا الوصول الى نتائج صحيحة لازمة عنها بالضرورة. وبالتالي فالانطلاق من مقدمات سليمة يكفل الوصول الى نتائج مضمونة ثابتة وحقيقية، ومن ثم الغرض من هذه الخطوة هو عملية تكميلية للعلم وذلك من

1) إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 4.

2) رينيه ديكارت: مقالة عن المنهج، المرجع السابق، ص ص 97 98.

خلال الإحاطة بكافة الخطوات السابقة لنتأكد من اننا لم نغفل أي جزء او تفصيل. وهذا ما اقره ديكارت ويدعمه أيضا لاشليي: **(الاستقراء هو عملية التي تنتقل بها من معرفة الظواهر الى معرفة القوانين)** [1].

من اننا لم نغفل شيئا من الروابط واننا لم نترك ثغرات في استدلالاتنا[2]، أي القيام بعملية مراجعة كلية وشاملة لمختلف المراحل السابقة لنتأكد من اننا لم نغفل أي جزئية من شانها ان تخل بالحقيقة المعرفية المرغوب الوصول اليها. كما ان تكرر فحص الخطوات يجعل الحقيقة تتضح امامنا لهذا نجد ان ديكارت: **{يطلب منا ديكارت في هذه القاعدة ان نراجع عدة مرات كل قضية يقينية في برهاننا، ونستمر في هذه المراجعة حتى يصبح البرهان وكانه بصيرة واحدة، وينعدم التخاوف بين الاستنباط والحدس، ويمثل ديكارت لذلك بمسالة من علم الضوء استخدم في حلها قاعدة الاحصاء}**[3].

وبالتالي أهمية هذه الخطوة لا تقل شانا عن باقي الخطوات الأولى، فهي تعمد أيضا الى التحلي بالصدق والبحث عن اليقين وكشف الوضوح أو الالتباس عما سبق ذكره، لهذا صرح ديكارت قائلا:

{وبالتالي كان الهدف من هذه الخطوة هو التأكد من عدم اغفال أي جزئية خلال الخطوات والمراحل السابقة،كما اننا نقوم بهذه الخطوة من اجل التأكد ورفع الشك، وجعل المعارف عامة وواضحة أمام الجميع}[4]

ما يمكن ملاحظته حسب دراستنا للمنهج الديكارتي هو انه يقوم على جملة من الخطوات والمراحل الثابت، أراد من خلالها ديكارت بلوغ اليقين وحصده، فنجده بذلك قد قدم منهج

1) جلال الدين سعيد : معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، المرجع السابق، ص 39.

2) يحي الهويدي: قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص96.

3) الطاهر عزيز: مناهج فلسفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990م، ص92.

4) René Descartes : op.cit, p 18.

فلسفي جديد خادم لمجال المعرفة، هذا المنهج وجد قبولا وموافقة داخل مجال الفلسفة والفلاسفة، كما وجد الرفض والدحض من قبل فلاسفة اخرين. وهذا ما سنلقي عليه الضوء في المرحلة اللاحقة لهذه.

الفصل الثالث

المنهج الديكارتي

بين التأييد والمعارضة

أولا: المؤيدين

1- باروخ اسبينوزا

2-نيكولا مالبرانش

ثانيا: المعارضين

1-ادموند هوسرل

2- جان بول سارتر

أولا: المؤيدين:

1- اسبينوزا:

كان للفلسفة الديكارتية صدا كبير في عصره، مما ساعد ذلك في ظهور العديد من الاتباع والمتأثرين، الذين اثبتوا عن جدارة القيمة الحقة لفلسفة ديكارت، ويؤكدوا عن قناعة الفضل العظيم لهذا الفيلسوف بعد قرون طويلة من الظلمات والعتمة الموحشة التي حاكتها الكنائس من خضوع وتبعية للعباد ككيان وكذوات مفكرة، ومن ثم كان لفلسفة ديكارت تاثير مباشر في استفاقة العقول من غفلتها وإطلاق العنان للحرية الفكرية. ليكون من بين أهم المتأثرين بفلسفته باروخ سبينوزا ،هذا الاخير كان معجب بديكارت أيما اعجاب، ومهتم بقراءة مصادره ومؤلفاته، ليتمكن فيما بعد من أن يصنع من نفسه فيلسوف على منواله في الكثير من النواحي والتوجيهات، لذلك استحق أن يقال عنه:**{ سبينوزا هو الديكارتي الوحيد، الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقا جدريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه}**[1]. من هنا نستنتج أن سبينوزا قد أخذ منهج ديكارت ليطوعه فيما بعد على مختلف المجالات التي استصعب على ديكارت الولوج فيها من دين او سياسة، أي أن سبينوزا قد عمد الى الأخذ بمنهج ديكارت واكمال مشواره في تناول الحقائق والمعارف الإنسانية التي استصعب على ديكارت الخوض فيها، وهنا يصدف القول أن ديكارت أقل جرئة من سبينوزا، وهذا ما يثبته التاريخ دوما أن التلميذ يتفوق على أستاذه، لهذا نجد:

أن المجال الأول: أي مجال الدين استبعده ديكارت من حيث تطبيق عليها مبدئي البداهة والوضوح التي نادى بها في منهجه كأول قاعدة أو خطوة ليتحاشاها ويتجاوز معها العقل-ذلك من منطلق انها حقائق ربانية مفارقة لعقولنا - ليدع الأمر للإدارة والفضل الالهي وفقط ،وهذا ما نستكشفه في قوله: **{ أن الايمان بالحقائق الدينية ليس فعلا للعقل بل فعل للإدارة لذلك لا يطبق عليه مقاييس الوضوح والتمييز، أكثر من ذلك أن كل الحقائق الدينية تتعدى حدود القعل، ولا يكمن للإنسان**

1) باروخ اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن منفي، دار التنوير، بيروت، 2005، ص9.

التصديق الا بمعونة من السماء، وبفضل من الله، أي أن ديكارت يبدو ها هنا هادما للعقل، ومعطلا لوظائفه في فهم الحقائق الدينية}[1].

أما اسبينوزا فهو قد طبق منهج الأفكار الواضحة في مجال الدين والعقائد الدينية، لذلك نجده قد ميز بين الآيات الواضحة عن الغامضة منها، وهنا يظهر تأثره الواضح والجلي بديكارت لكن مع القليل من الجرءة، من حيث الاعتماد على قاعدتي، الوضوح والبداهة هذا من جهة ،اما من جهة ثانية تأثره بفكرة سلة التفاح التي انتهج اسبينوزا فيها نفس نهج ديكارت–الذي استخدمها ديكارت للتمييز بين الافكار الصحيحة من الخاطئة– لكن اسبينوزا استخدمها في مجال الدين ،في فصل الآيات الصحيحة عن المشكوك فيها، ليكون اكثر جراءة من استاذه. لذلك قيل **{واذا كانت الأفكار الواضحة والمتميزة هي المثل الأعلى لليقين، فان اسبينوزا يحلل النبوة ويخرجها من نطاق الأفكار الواضحة والتطورات الغامضة ،كما يرفض وضع الآيات الواضحة مع الأشياء الغامضة}**[2].

كما يمكن أن نشهد نقطة التقاء أخرى مع ديكارت وهي فكرة أن الله هو المصدر الأول للحقيقة ،وانه الذات اللامتناهية الواضح بذاته الذي لا يحتاج الى برهان أو وضوح، لذلك قيل: **{ أراد اسبينوزا البحث عن الوضوح والتمييز في الواقع الديني والسياسي، وألا يقل شيئا على أنه حق في أمور الدين أو الدنيا ما لم يكن كذلك}** [3].

من هنا نصل الى القول بأن اسبينوزا استحضر منهج ديكارت في فلسفته وبقوة ،حيث طبق منهجه بحذافيره وبنفس نمطية تفكيره، مع وجه مفارقة بسيط وهي أن سبينوزا كان أكثر جرأة وصلابة من ديكارت، فالميادين والمجالات التي تخوف منها ديكارت سواء الدين أو السياسة، نجد أن سبينوزا قد واجهها وخاض فيها ليثبت بذلك أن فلسفته هي ثورة حقيقية لمختلف الأوضاع الاجتماعية السائدة، سواء ما نخصه بالذكر الدولة باعتبارها أول سلطان يسير الشعوب أو الدين الذي عبر عن مشيئة

1) باروخ اسبينوزا: المرجع نفسه، ص ص 9 10.
2) اسبينوزا: المرجع السابق، ص10.
3) اسبينوزا: المرجع السابق، ص12.

ربانية، هذا التشابه الكبير بين الفيلسوفين من نقطة خاصية الوضوح والتميز المأخوذة من نظرية ديكارت يجعلنا نبحث في المنهج السبينوزي وعلاقته بالمنهج الديكارتي، لهذا نجد أن:

2- المنهج عند اسبينوزا:

ان نظرية المعرفة عند اسبينوزا تعتمد على منهج واضح قائم على أربعة خطوات، كما هو الحال في المنهج الديكارتي، لهذا نجده يقول: **{ وبعد امعان النظر، رأيت من الأفضل أن أختصر هذه الضروب في أربعة}** [1].

انطلق باروخ في منهجه المعرفي كما سبق الذكر، من أربعة خطوات أولى هذه الأخيرة، كانت كالتالي:

أ - { يوجد ادراك مكتسب بالسماع أو بواسطة علامة اصطلاحية تواضعية} [2]

هنا كان اسبينوز او في هذه الخطوة ديكارتيا بامتياز، وذلك لأنه يريد ان ينطلق من فكرة تؤسس للاتفاق بين جميع الناس، وهي حاسة السمع ليصل فيما بعد الى معارف لاشك ولا تشكيك فيها، ومن ثم فاسبينوز يرجع عملية المعرفة الى ما يعرف بالإدراك الذي اسند اليه اربع مستويات، وكان أولها كما سبق الذكر "الادراك بالسماع" لهذا نجده قد قال: **{ انا اعرف بالسماع يوم ميلادي، وان أناسا معنيين هم ابواي، وما شابه ذلك من الأمور التي لا شك فيها على الاطلاق}** [3].

فكان افضل منهج على الاطلاق حسب السبينوزية هو البدء من معارف وحقائق مشتركة عند العامة، لا اختلاف فيها على الاطلاق بل تؤسس للاتفاق ،وهذه الحاسة أي السمع هي التي تمكننا من ذلك حسب اسبينوزا ،خاصة وان الانسان لا يعيش بمعزل عن الناس بل هو يعيش معهم ويشترك معهم

1) باروخ اسبينوز، رسالة في اصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1990م، ص31.

2) باروخ سبينوز: المرجع نفسه، ص32.

3) فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، تر: سعيد توفيق، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط1، 2013م، ص 315

في العديد من العادات والتقاليد، وبالتالي فالجماعة التي هو جزء منها تخبره مثل: ان يوم ميلاده كذا و ان ابوه فلان وامه كذلك، وهذا الطفل بتلقي جميع تلك الحقائق بالحواس ولا يوجد فيها أي مدعات للشك او اكاذيب ،فيكون بذلك الادراك السمعي هنا هو الوسيلة التي تمكنه من ذلك الادراك و التواصل مع الاخرين.

ب – اما المستوى الثاني في الادراك السبينوزي هو قد أخبر عنه كما يلي: **{ يوجد ادراك مكتسب بالتجربة المبهمة، يعني بالتجربة لا يحددها العقل، وهي تدعى كذلك لانها حدثت اتفاقا فلم تكذبها اي تجربة فبقيت راسخة فينا}**[1].هذا المستوى كما صرح بها اسبينوزا في مؤلفه "رسالة في اصلاح العقل" يقصد به ان التجربة المعاشة واليومية هي التي تكشف لنا عن أجزاء كثيرة من المعرفة والحقائق، وذلك على اعتبار ان الانسان يعيش الكثير من الاحداث في حياته سواء الغامضة او الواضحة ،التي تجعله يكشف بوضوح عن كثير من المعارف التي تؤسس وتؤصل لوجوده الحي والثمين. ومن ثم فهو في هذه المرحلة الثانية من الادراك يؤكد على: **{إدراك المعرفة التي يكون لدينا من التجربة الغامضة او المختلطة بالتجربة الغامضة اعرف إني سأموت، وانا أؤكد ذلك لأني شاهدت امثالي من الناس يموتون، رغم انهم لم يعيشوا نفس الفترة من الزمن، ولا يموتون بنفس المرض}**[2].

فهنا التجربة اليومية للإنسان حسب سبينوزا تلعب دور في تحصيل الحقائق المعرفية التي يتم الاستدلال عليها من الواقع متأثرا بذلك بديكارت في الخطوة الثانية من منهجه وهي التحليل. وعلى كل حال فنقطة الانطلاق عند الفيلسوفين هو تأثرهما بالرياضيات ومبادئها لهذا كان التشابه بينهما في المنهج عميق.

1) باروخ لسبينوز: المرجع السابق ص32.

2) فريديريك كوباستون: المرجع السابق، ص315.

ج- اما المرحلة الثالثة: من منهجه المعرفي هي التي أكد عليها اسبينوزا لهذا نجده يقول: **{يوجد إدراك تستنبط فيه ماهية بعض الأشياء من أشياء أخرى، الا ان ذلك لا يتم بصورة مطابقة، مثلما يحدث عندما نستنبط من المعلول علته، او عندما نخرج بنتيجة انطلاقا من بعض الكليات المصحوبة دوما ببعض الخصائص}**[1].

فنقطة الالتقاء في هذه الخطوة او المرحلة بين ديكارت واستبينوا واضحة وضوح الشمس، خاصة وان كل الفيلسوفين أكدوا على الاستنباط في عملية المعرفة وذلك قائم من حيث استنباط علة مجهولة من علة معلومة او استخراج شيء من شيء اخر، فكان ذلك اسبينوزا متأثرا ايما تأثر بديكارت في منهجه، لهذا قال **{فانا استنتج مثلا، ان حادثة ما او شيئا مالة علة، رغم انه ليس لدى فكرة واضحة عن هذه العلة، ولا عن الارتباط بين العلة والمعلول}**[2].

فهذه المرحلة من الادراك اكد فيها اسبينوزا عن تلك العملية التي يتم فيها استخلاص ماهية شيء من شيء اخر، دون ضرورة وجود علاقة او روابط متكافئة بينهما ،لتكون هذه الخطوة قد اكدها ديكارت في فكرة التركيب ،فالشيء الحقيقي هنا ،هو الذي نستطيع استنباط علة من معلول سابق له، فهو يندد اذن بان المعارف مترابطة فيما بينها بحيث تنتج عن كل واحدة منها معارف أخرى، أي ان المعارف تدفع بشكل واضح لنشوء معارف جديدة أي شيئا من شيء اخر، لكن دون معرفة السبب مثل: ان الحرارة تذيب الجليد، وان الماء يغلي بالتسخين و يصير بخارا، فهذا الالتقاء يقودنا باتجاه المرحلة اللاحقة عنها لنستوضح اكثر هذا التشابه.

1) باروخ اسبينوزا: رسالة في اصلاح العقل، المرجع السابق، ص 32.

2) فريديريك كوبلستون: المرجع السابق، ص 315

د – المرحلة الأخيرة: في المعرفة او الادراك التي تدعم فكرة معرفة الشيء في حد ذاته بماهيته وحدها، لهذا نجده يقول: **{يوجد أخيرا ادراك للشيء بماهيته وحدها، او من خلال معرفة علته القريبة}**[1].

فهذا الادراك يؤكد على المعرفة الماهوية لشيء في حد ذاته، دون تدخل عناصر خارجية عنه، والشيء يعبر عنه من خلال علله واسبابه ،التي تفسر وتوضح مبادئه واسبابه لذا نجده يقول: **{فعلى سبيل المثال: اذا كنت عن طريق الواقعة التي تقول انني اعرف شيء ما بانني اعرف ما عساها ان تكون معرفة أي شيء، بمعنى اذا ادركت بوضوح في فعل عيني من أفعال المعرفة فإنني اتمتع بهذه الدرجة الرابعة من الادراك}**[2].

ان هذا الادراك او المستوى الرابع يبدي فيه اسبينوزا تأثره بالرياضيات من جهة، ومن جهة اخرى يتوافق مع المرحلة الرابعة لديكارت، أي بعد تخطي المراحل الثلاث السابقة نصل الى درجة من الوعي، نتمكن فيها من التعرف على حقائق الأشياء في ذاتها، حيث تصبح واضحة وجلية لنا تمام الجلاء، وهو نفس الشيء بالنسبة لسبينوزا، فالإدراك الرابع هو المرحلة التي تصنع الأفكار البديهية والمميزة.

من خلال ما سبق نستشف ان التوافق الكبير بين ديكارت وسبينوزا من حيث المنهج، يجعل الثاني ديكارتي بلا منازع، خاصة وان نقاط الالتقاء بينهما جوهرية وواضحة. هذا الامر يدفعنا الى البحث عن الديكارتي الاخر **{أي مالبرانش}**، وان كان يستحق لقب الديكارتي ، لهذا نطرح السؤال التالي:

– الى أي مدى يمكن اعتبار مالبرانش ديكارتي التوجه؟

1) باروخ اسبينوزا: المرجع السابق، ص32

2) فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، المرجع السابق ص 315

2) مالبرانش:

أ- نظرية المعرفة لمالبرانش:

مالبرانش عبر من خلال مؤلفاته عن تاثره الواضح والجلي بالفلسفة الديكارتية والمنهج الديكارتي،لهذا قيل عنه:{يعد مالبرانش احد الذين عبروا عن فلسفة ديكارت بوضوح، حتى انه لم يتفلسف حتى بعد ان قرأ مذهبه كاملا}[1] ،فكان بذلك مالبرانش من اكبر الفلاسفة المقدسين للفلسفة الديكارتية والمتاثرين بها،ليكون اقترابه من ديكارت كبير، فمكنه ذلك من لقب الديكارتي ،وهذا ما أكده العديد من الفلاسفة والباحثين من خلال دراستهم له، لهذا قيل: **{ان مالبرانش قد استقى بدايات فلسفته ولاهوته من ديكارت واوغسطين، فضل فكرة ديكارتيا واوغسطينيا}**[2].

كما يمكن ان نجد تشابه اخر بين ديكارت و مالبرانش، خاصة وان هذا الاخير انطلق في عملية المعرفة من رفضه للفكر المدرسي كما سبق وان فعل ديكارت، الذي دعا الى ضرورة التحرر من ربقتها.

لهذا نجد مالبرانش يقول: **{فاذا تأملنا المعرفة لم نقل مع ارسطو والمتمدرسين، ان الأشياء تطبع صورها في النفس، فان الأدنى لا يؤثر في الأعلى ،ولهذا مبدأ متواتر عند الافلاطونيين، بما فيهم أفلاطون واغسطين}**[3].

كما نجد مالبرانش يؤكد ان الحقيقة الأولى او المصدر الاول للوجود ،والذي تعود اليه مختلف الافكار او المعارف هو الله- الذات الإلهية -،وبالتالي فقد انتهج نفس منهج أساتذة ديكارت ،حيث نجد ان

---

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة والنصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م ص 28.

2) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع نفسه، ص 37.

3) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5 ص99.

* نيكولا مالبرانش: ولد في أغسطس 1638 م بباريس من اسرة برجوازية عريقة، درس بمعهد باريس صقل به توجهه اللاهوتي من جهة ومنجه أخرى عمل على انماء فكره الفلسفي بفلسفة ديكارت، بالإضافة الى قراءته لكتاب "الانسان" الذي جعله ديكارتيا بامتياز، لمالبرانش جملة من المؤلفات نخص بالذكر كتابه "البحث عن الحقيقة".

هذا الأخير هو الاخر اكد ان الحقيقة الكاملة والمطلقة كامنة في الذات الإلهية وحدها، وفي هذا الصدد يقول مالبرانش: **{ما من شيء، اذا تأملناه كما ينبغي الا ردنا الى الله}**[1] وبالتالي فمالبرانش يؤكد ان الذات الإنسانية ترى افكارها في الله ،وانه هو وحده محل جميع الأفكار سواء المادية او الحقائق الكلية المطلقة.

اما مصدر المعرفة عند مالبرانش فهو العقل ،كما هو الحال عند ديكارت طبعا. وذلك على اعتبار ان العقل هو صفة متحدة بالله، وبالتالي لا توجد هناك ضرورة لنتحرى عن صدق الأفكار، ما دمنا نشاهدها ونراها في الله، لهذا صرح مالبرانش: { وعلى ذلك فلا حاجة الى ضمان صدق الأفكار الجلية، من حيث اننا نراها في الله ذاته، فمبدا اليقين اتحاد العقل بالله، او حضور الله للعقل وبالتالي فتأصيل فكرة الاتفاق بين الفيلسوفين يظهر حليا في سير مالبرانش في نفس توجه ديكارت ،من حيث اعتبار ان الله هو مصدر القيم ومختلف الحقائق والمعارف نجده يقول: **{ ان كل شيء في الله }**[2].

- كما نجد مالبرانش سار على نفس خطى ديكارت ،عندما اكد على أخطاء الحواس وفشلها في ادراك الحقائق في ذاتها، لهذا قيل: **{ مالبرانش يصطنع موقف ديكارت بكل دقة، فيتحدث عن أخطاء الحواس وتعارضها فيما بينها، وتعارضها مع المعرفة الفعلية}**[3].

أي أن مالبرانش هو الآخر رفض أن تكون الحواس مصدر لمختلف المعارف الإنسانية وذلك لأنها عاجزة وقاصرة، بينما يظهر دورها حسب مالبرانش في ربط الانسان بعالمه الخارجي، في اطار تلك التنبيهات التي تقوم بها لهذا قال أيضا: **{ان أخطاء الحواس والخيال، بأنها من طبيعة البدن وتكوينه، واكتشفها النظر في اعتماد النفس على الجسم}**[4]. ومن ثم صرح ديكارت بضرورة تجنب المفاهيم والأفكار التي تصل الينا عن طريق الحواس.

1) يوسف كرم: المرجع نفسه، 98

2) زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص125.

3) فريديريك كوبلستون: المرجع السابق، ص98.

4) فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز ، ص259.

كما يمكن أن نؤسس الاتفاق بين الفيلسوفين، من خلال دعم مالبرانش لفكرة الثنائية الديكارتية بين الروح والمادة: {لأنه قبل الثنائية الديكارتية بين الروح والمادة، الفكر والامتداد، وتوصل الى نتيجة هي أنه لا يمكن لاحداهما أن تؤثر على الأخرى بصورة مباشرة.} [1].

اذن ومن خلال ما سبق نصل الى القول بأن الأفكار المالبرانشية تصل الى حد التطابق مع الأفكار الديكارتية، وقد عبر من خلالها مالبرانش أنه ديكارتي وبامتياز، خاصة بعدما اتفق معه في العديد من النقاط التي تبرز عن جدارة أنه سار على منواله. هذا الامر يدفعنا الى البحث في منهجه، ليكون كالاتي:

ب – المنهج عند مالبرانش:

وضع مالبرانش هو الاخر جملة من القواعد والخطوات، التي دعا من خلالها الى ضرورة مراعاتها في البحث عن الحقيقة والمعرفة وهي فيما يلي:

ومن ثم فالقاعدة الأولى: التي اعتمدها مالبرانش من اجل الوصول الى المعارف والحقائق الصحيحة هي: **{القاعدة العامة الأساسية هي انه ينبغي الا نحكم العقل الا في تلك المسائل التي يكون لدينا عنها أفكار واضحة، وينبغي باستمرار ان نبدأ بالاشياء الأكثر بساطة وسهولة}**[2].

وبالتالي مالبرانش يؤكد في هذه الخطوة على ضرورة الانطلاق من الأفكار البديهية والواضحة، والتي لا تنطوي على أي أفكار غامضة ومعقدة، وفي هذه المرحلة يتفق مع ديكارت تمام الاتفاق، خاصة وان ديكارت هو الاخر استهل منهجه المعرفي من نفس هذه الفكرة. من حيث رفض الافكار الغامض والدعوة الى تبسيطها وتوضيحها.

1) فريديريك كوبلستون: المرجع نفسه، ص261.

2) فريديريك كوبلستون: المرجع نفسه، ص260

القاعدة الثانية: هي الأخرى سار فيها على نفس نهج ديكارت، لهذا نجده يقول : **{يجب علينا ان نبدأ كما فعل السيد ديكارت بالعلاقات الأكثر بساطة، وننتقل مما هو أساسي الى ما هو اكثر تعقيدا}**.[1] من هنا نستخلص ان القاعدة الثانية التي يعتمد عليها مالبرانش ،هو الانتقال من الأفكار الواضحة في هذه مرحلة، ليصل خلال هذه القاعدة الثانية الى عملية تركيب تلك الأجزاء البسيطة والواضحة، وهنا لا يسعنا الا القول بأن مالبرانش هو من مؤيدي الفلسفة الديكارتية وبشكل كبير . خاصة بعدما صرح: **{ان ديكارت هو البطل ، وارسطو هو الوغد}**[2]، معه ايضا في فكرة رفض السكولائية ،كمايبدو أيضا تأثره بالرياضيات ومبادئها واضح وجلي . ويظهر ذلك من خلال قاعدتي الوضوح والتحليل، ومن ثم فالمنهج المالبرانشي يعبر عن تطابق كبير بين كل من ديكارت ومالبرانش.

.بعدما اوضحنا التوافق الكبير بين ديكارت و مؤيديه من حيث المنهج ،نكون بعد ذلك بصدد الكشف عن المعارضين له،وهذا ما سنجده كالاتي:

ثانيا: المعارضين:

لاشك ان كل مذهب او اتجاه فكري له مؤيدين ،وهذا ما وجدناه في مرحلة سابقة من خلال اتباع وتلاميذ ديكارت ،الذين ايدوه وساروا على نفس خطاه وانتهجوا منهجه في المعرفة، فكان بذلك ديكارت هو المقتدى،خاصة وانه خلصها من طابعها السكولائي، ومن فلاسفة العصور الوسطى التي طمست التفكير الفلسفي بتوجهاتها الدينية، وأغلقت على الفلسفة في دائرة المشائية، والرفض لكل ابداع او تجديد فكري. فجاء بذلك ديكارت ووضع منهج جديد محاولا بذلك ايذاع ضبط وتنظيم للمعارف الإنسانية جمعاء، لكن رغم صدق النية التي جاء بها الا انه وقع في جملة من النقائص والعيوب، التي استغلها اللاحقين عنه او المعارضين له ،من اجل دحضه والتوجه اليه بالعديد من الانتقادات، من بين هؤلاء المعارضين للمنهج الديكارتي ،نجد في اول القائمة الفيلسوف ادموند

1) فريديريك كوبلستون: المرجع نفسه، ص260.

2) فريدريك كوبلستون : المرجع السابق، ص261.

موسول صاحب الكوجيتاتوم، بالإضافة الى الفيلسوف الفرنسي سارتر، كان هؤلاء واخرون هم الرافضون لديكارت ولمنهجه الفلسفي، خاصة وانهم بذلك لم يكونوا مجرد رافضين وفقط،وانما قدموا أيضا البدائل التي تثبت صدق توجهاتهم وافكارهم، ومن بين هؤلاء المعارضين الذي سنلقي عليه الضوء، هو الفيلسوف ادموند موسول ،لهذا نقول:

1) هوسرل:

أ) المنهج الهوسرلي وخطواته:

انطلق هوسرل في بناء منهجه الفلسفي، باتباع سبيل واتجاه مغاير لما تأسيسه من قبل، وعلى وجه الخصوص "المنهج الديكارتي"، لهذا نجده قد اتبع ثلاث اطوار أساسية، أراد من خلالها توضيح الأخطاء التي وقع فيها ديكارت واغفل عنها ،ومن ثم كان المنهج المناسب والملائم هو السبيل الفينومينولوجي، حيث نجد ان هذا الأخير يعرف على انه : **{الظواهرية هم المنسوبون الي القول بالظواهر، وهؤلاء فريقان: احدهما ينكر الشيء في ذاته، ويزعم انه ليس ثمة الا الظواهر ،وان الظاهرة لا تفهم الا باعتبارها مركبة من ظواهر أخرى، او داخلة في تركيب ظواهر أخرى، و الأخر يسلم بوجود الشيء في ذاته، ولكنه يزعم ان العقل لا يدرك مع ذلك سوى الظواهر}**[1].

نلاحظ اذن ان ديكارت قد اغفل الجانب الاخر من المعرفة، حين ركز على الذات العارفة واهمل الموضوع، وعمل على تهميشه وابعاده عن الساحة المعرفية، فكانت بذلك الحقائق المعرفية ناقصة وغير تامة، ليؤكد ذلك هوسرول في كتابه "فكرة الفينومينولوجيا"، وهذا ما نجده في قوله:**{ ان المعرفة في ما هي عليه من الهيئات، معيشي نفسي، انها معرفة لذات عارفة تقوم قبالتها موضوعات معروفة}**[2]. وبهذه المقولة اكد هوسرل على فكرتين أساسيتين:

1) عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة موصولي القاهرة، ط3، 2000 م ، ص 506

2) ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر، فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م، ص 52

أولها: ان المنهج الديكارتي ناقص وما يعاب عليه هو اغفاله لفكرة الموضوع الخارج عن نطاق الذات المدركة له، خاصة وان هذا الأخير يمثل العنصر البارز والاوضح في عملية المعرفة.

ثانيا: ان المعرفة لا عناصر لها الا بالجمع بين الذات العارفة والموضوع المعرف، وذلك لان الموضوع هو بمثابة محفز ومنبه خارجي، يثير ذواتنا ويحفزها لكي تنشط وتقوم بدورها الإيجابي في عملية المعرفة.

ومن ثم لا مناص للذات الا بالموضوع ولا للموضوع الا بالذات، لهذا نجد: **{تشكل الفينومينولوجيا نقطة انطلاق اولانية لكلاهما معا ،من حيث انها محاولة جادة لاعادة الذات للموضوع ، او الشيء بالماهية، وإعادة ادماج هذه العلاقة ضمن سيرورة الشعور الزمكانية، بوصفها وعيا متناميا بحقيقة الانسان وسعيا دؤوبا لادراك ماهيته}**[1]. فكانت بذلك المعرفة الهوسرلية تجمع بين تصورين اثنين هما: ذات باحثة على الدوام عن مختلف الحقائق والمعارف، وثانيهما: موضوع موجود في الواقع الحسي، يطرح نفسه باستمرار كمحفز ومقوم للذات الإنسانية، لذلك ركز هوسرل على فكرة القصدية التي تعبرعن أساس المنهج، من حيث ان الذات تقصد موضوعا ما في العالم الخارجي الذي يشكل محور اهتمامها.

فكان هذا هو أساس المنهج الهوسرلي، لكن ماهي خطواته؟

ب) خطواته:

لقد وضع هوسرل منهج جديد في مجال المعرفة، اراد من خلاله توضيح و تكملت النقائص والعيوب التي وقع فيها السابقين عنه بما في ذلك ديكارت، تمكن من خلال هذا المنهج السير بالمعرفة في طريق الحقيقة والتأصيل و التأكيد على وجود الفعل المعيش، ومن هنا كان منهجه قائم على ثلاثة اطوار أساسية، وهي كالتالي:

1) بول ريكور: بعد طول تأمل، تر فؤاد مليت، ط1، 2006م، ص13

- الطور الأول:

يستهل هوسرل منهجه بالبدء بفكرة وضع جميع المعارف والمكتسبات الإنسانية تحت طائلة السؤال و التشكيك، وذلك من اجل التأكد من صدقها ووضوحها الجلي امام الفكر البشري ،لكي لا يقع الانسان بعد ذلك في مطبات الخطأ و الزلل، ومن ثم فالسؤال يكشف لنا عن حقائق لا ينالها الشك ولا يتمكن منها. وحقائق أخرى تحتوي في طياتها على مداخلات ريب وتشكيك، من هذا الاعتبار نجد ان هوسرل وديكارت يتفقان على ضرورة الانطلاق في المعارف من افكار صحيحة ومؤكدة ،ليكون ديكارت قد اكد على هذه الفكرة سابقا، بصريح العبارة وبشكل مباشر حيث قال ديكارت : **{ينبغي الا اقبل شيئا ما على انه حق، مالم اعرف يقينا على انه كذلك بمعنى ان اتجنب بعناية التهور، والسبق الى الحكم قبل النظر....}**[1].

ومن ثم فنقطة الالتقاء بين المنهج الهوسرلي والديكارتي قائمة في الخطوة الأولى ،التي مؤداها قابع في ضرورة وضع الأفكار والحقائق السابقة للفكر في الشك ،حتى يتسنى لنا الوصول الى اليقين والوضوح والصدق المطلوب، فالشك هنا هو شك فعال ومنهجي هدفه تحصيل اليقين والصواب،وبالتالي ديكارت وهوسرل متيقنين من حيث خطوة الانطلاق، ومن ثم نجد هوسرل يقول: **{ان الاعتبار الديكارتي للشك هو الذي يعطينا هاهنا بدءا: ان وجود الفكر cogitatio) (المعيش، وفي وقت الذي نحن نعيشه ونتأمل امره فقط، هو وجود واثق اخذ حضوريا مباشرا و امتلاكه هو أصلا معرفة والأفكار) cogitationes (هي المعطيات المطلقة الاولى}**[2].

ومن ثم فغاية الايبوخية الهوسرلية) او تعليق الحكم(، هي تحقيق الإمكان أي تحقيق الماهية في الموضوعات وفي العلاقات التي بينها بغير تسليم سابق، فالأحكام المسبقة مرفوضة من قبل هوسرل، وهذا كله لغاية البحث عن الموضوعية والابتعاد عن الذاتية وعن المغالطات والتجرد من الاحكام

1) رينيه ديكارت: حديث الطريقة، المصدر السابق، ص 44 .

2) ادموند هوسرل: المرجع السابق، ص33

القبلية والمسلمات العامية التي لم تخضع للتجربة ،ليكون بذلك من اكبر المعارضين لديكارت في فكرة حصر ديكارت للوجود في اطار العقل وانطباق الفكر مع نفسه هذا الاخير حسب هوسرل لا يسلم من الاحكام المسبقة، لهذا قيل: (التجربة حسب هوسرل هي الغير ،ومرتبطة بقصدية الوعي والشعور أي القابل للتجريب المحايد الموجود في حدود الوعي). ومجال استقطاب بالنسبة للذوات الإنسانية، لذلك نجد: **{ان كل المعاييش** (Erlebnisse) **التي تشترك كلها في تلك الخاصية الجوهرية،هي تدعى أيضا "بالمعاييش القصدية" ولكونها هي وعيا بشيء ما ،نقول عنها بانها تتعلق قصديا بذلك الشيء}**[1]. ونحن عندما نقول أن الذوات تقصد الى الموضوع الموجود في الخارج أو الواقع تقصده بالحواس وباللمس، لكن لا يجعل من هذه الأخيرة هي المقصودة، وانما هي أدوات ووسائل توصلنا وتأخذ بأيدينا الى الموضوعات لذا قيل: **{ صحيح أن هوسرل لا ينكر البتة وجود معطيات بصرية أو لمسية تدخل في الوعي بنحو العناصر الذاتية المحايثة، لكن هذه المعطيات ليست هي الموضوع والوعي لا يقصدها هي، وانما بتوسطها هو يستهدف الموضوع الخارجي}**[2].

وبالتالي ما يمكن استنتاجه من الفلسفة الهوسرلية: **{ ان الوعي هو الموجود العارف بما هو كائن لا بما هو معروف ... ولا شك في ان الوعي يمكن ان يعرف وان يعرف ذاته. لكنه في ذاته شيء اخر غير المعرفة العائدة على نفسها}**[3]. من هذا المنطق نستوضح المعارضة الهوسرلية للمنهج الديكارتي، حيث اكد هوسرل فيما سبق (المقولة السابقة)، أن المعرفة تخرج عن نطاق انطباق الفكر مع نفسه ،وانما تتعداه الى ذلك الموضوع الحسي الذي يمكن التأكد من وجوده تجريبيا. أي رفض فكرة الكوجيتو الديكارتي **{انا اشك انا افكر، اذن انا موجود}**، ليرفع شعار اكد فيه على ضرورة إعادة الربط بين الشعور والعالم، ولا يشترط في هذه العلاقة الا ان يكون الشعور شعورا بذاته ،مبتعدا عن العواطف والنوازع النفسية التي تجعلنا نحيد عن الموضوعية، وهو ما سنحدده الان بمقولته:

1) جون بول سارتر: التخيل، تر: لطفي خير الله، تونس، 2001، ص 135.

2) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

3) جون بول سارتر: الوجود والعدم، تركيد الرحمن بدوي، منشورات دار الادب، بيروت، ط1، 1966م، ص23.

{المعرفة هي معرفة ان المرء يعرف}، وحدده سقراط سابقا في فكرة : **{اعرف نفسك بنفسك}**، وبعد هذه المعرفة (أي معرفة الذات والشعور)، نذهب الى ادراك الموضوع إدراكا موضوعيا بحثا ،حتى نصل الى نتائج يقينية ودقيقة، فبعد التعرف على القاعدة الأولى لمنهجه، هذا يقودنا لاستكشاف الطور الثاني من منهجه الذي سيكون في مرحلة لاحقة.

- الطور الثاني:

هذا الطور هو الخطوة الثانية في المنهج الهوسرلي غايته من هذه المرحلة هو الوصول الى اعلى درجات الوضوح واليقين ،وهو مااطلق عليها تسمية "الرد الفينومينولوجي" وان هذا المصطلح الأخير بحسب تعريف عبد المنعم الحفيني هي: **{رد ظواهري في فلسفة الظاهريات التي قال به هوسول وهو عملية التي يتجاوز بها الوعي الصفات العارضة للموضوع قيد البحث او الادراك او التامل او المناقشة او التفكير ،بحيث لا يتبقى الا ماهيته الثابتة التي تهم الذات و ويسميه هوسرلل لذلك بالرد الماهوي المتعالي، لان الانا تتجاوز به العالم المباشر الى موقف تاملي يستوعب فيه الاتا المتعالي الخبرات الواقعية للذات التجريبية ويخلص الى ماهية الموضوع او صورته}**[1].

ومن هنا كان مفهوم الرد الفينومينولوجي ،هو عملية تصل فيها الذات المدركة الى الماهية الحقيقية للموضوعات الماثلة امامها، كموضوعات للدراسة والبحث ،ومنه جاء تعريفه للرد الفينومينولوجي: **{هو رد مفهوم المحايثة الفعلية، التي لم تعد تعني المحايثة الواقعية في الوقت نفسه، محايثة في وعي الانسان وفي الظاهرة النفسية الواقعية}**[2]، وفي هذا الصدد نجد ان الرد الفينومينولوجي حسب هوسرل هو عملية أساسية في منهجه، قائمة على حدس الذات العارفة لموضوعات واقعية ،تحمل في بادئ الامر مسلمات أولية، لنصل في الأخير الى موضوعات جديدة.

1) عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، المرجع السابق، ص379.

2) ادموند هوسرل: المرجع السابق، ص 95.

في هذه الخطوة عارض هوسرل ديكارت ووجه له نقدا لاذع،واعتبره قد أغفل عنها، وان منهجه ينقصه الرد الفينومينولوجي، وهو ما اعابه عليه ،لذلك قال: **{ان الفكر الديكارتي بادئ الامر محتاج في الأصل الى الرد الفينومينولوجي، ليست الظاهرة النفسية الموجودة في التصور .... انما فقط الظاهرة المحظة اي المردودة}**[1]، وبالتالي فديكارت قد حصر الوجود والمعرفة حسب هوسرل في مجالها الضيق أي في انطباق الفكر مع نفسه، وهذا ما دل عليه بفكرة الكوجيتو**{انا اشك، انا افكر، اذن انا موجود}**، وجه النقص حسب هوسرل في هذه الفكرة مردها في حصر الوجود في التفكير ،في حين الحقيقة أوسع من ذلك بكثير، لذلك نجده قد عمد الى استبدال الكوجيتو بالكوجيتاتوم: **{ انا اشك في شيئا ما،اذن انا موجود}**، من هنا كان رفض هوسرل لديكارت، لتكون هذه الخطوة اكثر تماشي واقرب الى المعرفة الصحيحة، خاصة وانها لا تعمل على اقصاء الواقع الخارجي كما فعل ديكارت ،كما ان الموضوعات الخارجية تعمل على تحفيز الذوات البشرية باستمرار على التوجه نحو المواضيع التي تشكل محور اهتمامها: **{ الفينومينولوجيا حيث تكشف القصدية عن وعي موجه الى خارجه، ونازع نحو المعني قبل ان يصير وعيا لذاته في لحظة التأمل}**[2].

<u>– الطور الثالث من الاعتبار الفينومينولوجي:</u>

قبل الكشف عن هذه القاعدة نضبط اولا المصطلح ليكون كالتالي:

{يتلخص في افتراض مشكلة مطلوب حلها ،وإقامة علاقة بين الشروط دون التمييز بين الكميات المعروفة والكميات المجهولة، ثم الانتماء الى علاقة نهائية بعد حذف باقي العلاقات، وهذه العلاقة النهائية لا تنطوي الأ على اقل قدر من الكميات المجهولة}[3].بعد ضبطنا للمفهوم،

1) ادموند هوسرل: المرجع السابق، ص36 .
2) بول ريكور: بعد طول تامل، المرجع السابق، ص 84.
3) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص55.

نلاحظ ان الباحث خلال هذه المرحلة يكون بصدد عملية بحث وتقصي لكافة الخطوات السابقة، من خلال فحص المبادئ و فحص النتائج.

ومن ثم فان هذه المرحلة هي الأخيرة في المنهج الهوسرلي، وهي الطور الاسهل والأكثر ليونة، على اعتبار انها قائمة في تلك العملية الإحصائية والاستقصائية لجميع الخطوات والمراحل السابقة ،وذلك بغية تجنب الوقوع في ضروب الخطأ والمغالطات ،أي اذا ثبتت صحة الأفكار والمعطيات القابعة في مراحلها الأولى، خاصة مرحلة الرد الفينومينولوجي فهي الاصعب والاكثر تعقيد –على أعتبار انها خطوة تقابل الذات البشرية بموضوعها الواقعي الموجود في عالمنا الخارجي المحسوس– ، فبعد تخطي هذه الصعوبة يجد الباحث نفسه امام خطوة مفصلية، مفادها نقل الحقائق الواقعية الى الوعى العمومي للناس ، لهذا نجد هوسول يقول: **{ يتعلق الامر الان بتقصي المعطيات خطوة بخطوة في كل تحويلاتها، ما كان منها اصليا وما كان زائفا، ما كان بسيطا وما كان مركبا، ما تقوم منها مرة واحدة وما أنبنى منها درجة بحسب ماهيته، ما صدق منها بإطلاق وما كسب منها الانعطاء وتمام الصدق بتدرج لاحد له في سيرورة المعرفة}**[1].

من هنا كان الطور الثالث هو عبارة عن عملية استقصائية شاملة، تبحث باستمرار عن رفع مطبات الخطأ والزلل في جميع النواحي المعرفية، وتتبع كل خطوات الموضوع من اجل الوصول الى الدقة والبداهة المطلوبة والابتعاد عن الاغاليط ،وان ندرك المقصود من الموضوع الواقعي الموجود في العالم الخارجي، من هنا كان رفض هوسرل للمنهج الديكارتي مؤسس بتقديم منهج جديد، مغاير لما تم تأسيسه من قبل ديكارت ويسانده أيضا في هذا التوجه الفيلسوف الفرنسي سارتر، ومن ثم فالسؤال الذي يطرح نفسه كما يلي: الى أي مدى نلمس معارضة سارتر للمنهج الديكارتي؟

2) جون بول سارتر:

1) ادموند هوسول: فكرة الفيمينولوجيا، المرجع السابق، ص43.

أ – في المعرفة:

استهل سارتر كتابه "الوجود والعدم" بفكرة أساسية يلخص بها صدق توجهه الوجودي،معارضا بها ديكارت بمقولته: {حقق الفكر الحديث تقدما هائلا برده الموجود الى سلسلة من الظواهر التي تكشف عنه}[1]، من هنا نستوضح ان سارتر يؤكد على ان اهم المعارف و اصدقها على الاطلاق، بما تحققه في الواقع من تجلي ووضوح ،يعبر عن يقين تمثلها ،لهذا صرح: {وبهذا تسقط ثنائية القوة والفعل، في كل شيء بالفعل، وليس وراء الفعل قوة ولا قدرة ... فنحن نرفض العبقرية على انها قوة خاصة، لا نجد بعض الاعمال، ولا القدرة الذاتية على انتاجها: انما الاعمال منظور اليها على انها جماع تجليات الشخصي}[2]، ومن هنا كان رفض سارتر صريح لما اقره ديكارت سابقا ،حول ان المعرفة قابعة في دائرة الذات العارفة او الانسان)وعلى وجه التحديد العقل) ،بل بالعكس سارتر يؤكد على أسبقية الظاهرة الموجودة في الواقع الحسي وعلى الوجود الموضوعي للاشياء،وذلك لأنها تحمل في طياتها معايير صدقها وجلائها.

كما نلمس نقطة اختلاف اخرى بين الفيلسوفين، من حيث تاكيد ديكارت على التمايز في فكرة الثنائيات،بما انها تصنع في داخل الموجود تقابلا بين الباطن والظاهر او الخارج، ليردها سارتر بدوره الى المتناهي واللامتناهي، فالأول: نقصد به وجود الظاهرة في العالم الخارجي وجودا موضوعي يمكن التحقق منه، والثانية: هي تلك الذات البشرية حيث نجدها تختلف في ادراك الشيء الواحد من شخص الى اخر، وذلك بفعل تعدد الميولات والرغبات الشخصية،لكن لكل ذات عارفة ادراكتها الخاصة بها،في مثال عن ذلك :ادراكنا لمفهوم السرقة يختلف من فرد لأخر فالسارق يراها سد لحاجياته، والمسروق له يراها ضربا و هتكا لكرامته،ومن ثم فسارتر رفض ان يكون الصراع من

1) جان بول سارتر :الوجود والعدم، المرجع السابق، ص 13.

2) جان بول سارتر: المرجع السابق، ص–ص 14 15.

* جان بول سارتر: فيلسوف فرنسي معاصر ولد بباريس في 21 حزيران 1905م ومات فيها في 15 نيسان 1980م من نفس بيئة ديكارت، درس لهوسول وهيدقر ومن خلال هذه الدراسة بني نسقه الفلسفي الوجودي، من اهم الأفكار التي نادى بها فكرة الحرية، كتب العديد من المؤلفات أهمها الوجود والعدم.

اجل الوجود داخل الذات كما اقره ديكارت، بل بالعكس من ذلك فهو بين ذات مدركة و ظاهرة تبحث عن الادراك باستمرار. لذلك فالكوجيتو الديكارتي بالنسبة اليه ناقص ولا يقر بالجانب الاخر للمعرفة، كما انه يجعل الانسان في معزل عن العالم الخارجي الذي يمثل الواقع، لهذا نجده يقول: {على الكوجيتو "انا افكر فانا موجود" وهذه هي الذاتية التي يدركها الانسان في عزلته ووجوده، ثم لا يستطيع معها ان يستعيد تضامنه مع الاخرين الذين يوجدون خارج ذاته، والذين لا يستطيع ان نصل اليهم عن طريق كوجيتوه}[1] ، وبهذا فالكوجيتو عجز عن تحقيق التكيف مع الواقع الموضوعي.

بما ان سارتر اكد في فلسفته الوجودية بان الانسان مشروع وجود، يحقق ذاته انطلاقا من تحقيق تلك الأهداف التي سطرها في البداية، وبالتالي وجوده يقاس بمدى تحقق تلك الأهداف السابقة الذكر ،ومن اجل ذلك كان اهم شرط لتحقيق الوجود الإنساني هو امتلاك الحرية، لان هذه الاخيرة حسب سارتر هي وحدها الكفيلة بالسير بالإنسان في مسار الوجود الحقيقي والفعال، من هذا المنطلق عارض سارتر ديكارت على اعتبار ان ديكارت اسند الحرية الى الذات الالهية، في حين عمل على سلب هذا المفهوم عن باقي الموجودات الأخرى بما في ذلك الانسان ،هذا الأخير مقيد تحت الضرورة العقلية ،ومن ثم وجه سارتر نقد لاذع الى ديكارت في فكرة الحرية في ثلاثة مستويات: الأولى في المنهج، والثانية في الشك (الكوجيتو) ،والثالثة في الإرادة وقبل كل ذلك لابد من ضبط مفهوم الحرية حسب التوجه السارتاري ومن ثم يقول: {الحرية الجوهرية، الحرية القصوى والنهائية التي لا يمكن انتزاعها من الانسان هي ان يقول: "لا" هذه هي الفرضية الأساسية في نظرة سارتر للحرية الانسانية}[2].

من هنا كانت الحرية السارترية هي التي يستطيع فيها الانسان ان يقول "لا"، وان يرفض لأية ضرورة تعترضه في حياته مهما كان وجه الصعوبة، ومن ثم فالحرية والوعي مثلا زمان كل واحد منهما تشترط الأخرى ولا سبيل للفصل بينهما ،وذلك على اعتبار ان الانسان قبل ان يقول "لا" لابد ان

1) جان بول سارتر: الوجودية مذهب انساني، تر: عبد المنعم الحنفي ، ط1، 1964م، ص6.
2) سارتر: عاصفة على العصر، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الادب، بيروت، ط1 ، 1965م، ص24.

يعي تلك الضرورة التي هو موجود فيها. بعد ضبطنا للحرية نذهب الان الى مستوياتها كما سبق وان ذكرنا، أولى تلك المستويات:

ب- في المنهج: أي ان ديكارت ربط مفهوم الحرية عند الانسان في اطار العقل وفي دائرة تلك القواعد المنهجية التي رسمها للفكر، اما ما دون ذلك فالإنسان مقيد، ومن ثم فديكارت أوقع بالإنسان حسب سارتر في العدم عندما حصر مجال حريته في التفكير وفقط، ليجعله بذلك اسير ذلك المنهج ،في حين ان الحرية تستلزم اكثر من ذلك بكثير ،لهذا صرح سارتر :**{قواعد المنهج الديكارتي، هي حرية فكرية فحسب تقف عند مستوى المنهج ولا تتعداه الى حرية الانا... وهذا هو الفارق الجوهري بين الحرية كما تتمثل في قاعدة الوضوح العقلي ،وبين الحرية كما تتمثل في الشك او في الكوجيتو الديكارتي}**[1].

ومن ثم فوجه النقص في اول قاعدة اعتمدها ديكارت في منهجه من اجل الوصول الى الحقائق والمعارف اليقينية هي قاعدة الوضوح واليقين، أي الانطلاق من كل ما هو واضح وبديهي بذاته، وإعلان الشك كأداة مواصلة الى ذلك،-فيحين اعتبرها المجتمع الفرنسي (أي الشك أو الكوجيتو) آن ذاك هو اعلان عن الحرية- ،لكن هذه الحرية هي حرية أنا مؤكدة وحرية كوجيتو لا غير من حيث -كل أنا مفكرة هي حرة- ،هذا هو النقد الذي وجهه سارتر لديكارت في فكرة القاعدة الأولى من منهجه ،اي البدء من الأفكار الواضحة بعد أن تكون قد مرت عبر مرحلة الشك ،لهذا نجد سارتر يصرح: {فحرية الشك اذن هي حرية مطلقة أو هي حرية في شكله المطلق وحيث أن الشك تفكير في حرية الأنا في الشك هي حرية الأنا أفكر أو هي حرية الكوجيتو من حيث أن الكوجيتو يعني انا أفكر}[2]. بهذا نصل الى القول بأن مفهوم الحرية حسب التوجه الديكارتي ناقص ومرفوض عند سارتر، وفيه انطواء حول حرية الأنا المفكرة، لكن مادون ذلك مقيد ليكون مفهوم الحرية بذلك ناقص

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: فلسفة جان بول سارتر، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003، ص 56.

2) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع نفسه، ص57.

و مختل، لذلك نجد سارتر قد اتهم ديكارت بأنه مثله مثل باقي الشكاك السابقين، وأعتبر أن شكه هو مجرد شك سلبي ،خاصة وان معارضتهم تقف عند حد كلمة "لا" التي تقال.

أما المستوى الثاني: الذي عارض فيه ديكارت هو مستوى "الكوجيتو" أنا أشك، أنا أفكر، اذن أنا موجود "هذه المقولة الديكارتية يراها سارتر بأنها مقولة ناقصة وغير تامة التكوين وتحتاج الى تكملة لتتضح بذلك المعرفة، وتصل هذه الأخيرة الى اليقين، لهذا نجده يقول: **{أن الكوجيتو ليس حاصلا في ذاته اطلاقا على ما يكفي لأن يكون ذاتية مطلقة، أنه يحيل أولا الى الشيء}**[1]. وانطلاقا من هذا نصل الى إيجاد الموقف السارتري في هذا الموضوع، بأن المعرفة الحقة تقوم على الجمع بين الأنا المفكرة وبين الموجودات والمواضيع الموجودة في العالم الحسي المفارق لذواتنا.

لهذا أكد سارتر على فكرة الحرية، وهذه الحرية حسبه هي التي تجمع بين الفكر والواقع، ليكون رفضه لموضوعا ما من المواضيع او قبوله هو تعبير عن الحرية، لهذا أكد :**{أنا أستطيع ان أختار دائما وحتى اذا رفضت أن اختار، فرفض عدم الاختيار هو اختيار}**[2]. وبالتالي فالانتقادات التي وجهها سارتر للكوجيتو هي التي مكنته من وضع فلسفته الوجودية ،ولهذا قيل: **{فالكوجيتو الديكارتي هو الخطوة الأولى في المنهج الذي يتابعه سارتر، وهذه الخطوة بالإضافة الى فكرة القصد هي التي أتاحت لسارتر أن يتجاوز الوعي نحو الأشياء ويقدم لنا بالتالي فلسفته عن الوجود}**[3].

أما المستوى الثالث

ومن ثم فان ديكارت ومنهجه هو الذي دفع باللاحقين عنه سواءا المؤيدين او المعارضين أن يتناولوه في دراستهم وهو نفس الشيء عبر عن سارتر. فنقده لديكارت ومعارضته في العديد من

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع السابق، ص68.
2) جان بول سارتر: الوجودية مذهب انساني، المرجع السابق، ص 51.
3) إبراهيم مصطفى إبراهيم: المرجع السابق، ص ص 69 70.

النقاط على مستوى منهجه هو الذي دفعه الى بناء منهج خاص به قائم بذاته أكمل فيه النقائص والعيوب التي وقع فيها ديكارت.

اعتبر سارتر الكوجيتو الديكارتي منغلق على ذاته، وأنه أسس لوجود و أنطولوجيا غير صحيحة ،عندما أقر في كوجيتوه **{أنا أشك، أنا أفكر، اذن أنا موجود}** فحصره للوجود في الذات، ففي ذلك ضربا للحقيقة في صميمها ،وتجاهل لأجزاء أخرى يمكن أن تقدم مفهوم صحيح وواضح لفكرة الوجود الوجود الخارجي **{رفض سارتر هذا الانغلاق بأن جعل الكوجيتو الديكارتي ينفتح على العالم، فبعد أن كان الوعي عند ديكارت وعيا فحسب أصبح عند سارتر وعيا بالعالم...}**[1]، ومن خلال هذا نؤكد بأن سارتر يقر بالوعي والشعور، الذي يقصد الى الموضوع الموجود في العالم الخارجي، ويمكن من تصور ثاني يرفض فيه تمام الرفض انطواء الذات في الوعي ،كما يرفض اقصاء الواقع الحسي أي الظواهر الواقعية ،فهذه الأخيرة تثبت في ذاتها على الدوام، اما انكارها فيوقعنا في تناقضات ومغالطات واضحة وجلية ،لاسيما وان الانسان بطبعه يميل الى كل ما هو حسي وملموس، ليحصل له بذلك التصديق ،أي يضع الواقع والعالم المفارق لذاته كمقياس يستنجد به ليستوضح ما يخالجه من معارف وحقائق تمتلئ بها ذاته المفكرة والواعية، ومن هنا يكون سارتر قد وضع البشرية في مسار مخالف لديكارت وزاوية الانغلاق والانطواء التي أسسها وضبطها من قبله في طيات الوعي، ليضع الانسان المعاصر في تفكيره الوعي والظاهر، لذلك صرح سارتر "بالكوجيتو" السابق على النظر ووجود الادراك" معنى ذلك أن حصر ديكارت للمعرفة في اطار الذات العارفة والواعية، فذلك يجعل المعرفة ناقصة وخاطئة مآلها السقوط في العدم، لهذا نجده يقول :**{اذا شئنا ان نتجنب التسلسل الى غير نهاية فينبغي ان يكون الشعور رابطة مباشرة غير كوجيتية بين الذات والذات}**[2]، ففي هذا القول رفض صريح للكوجيتو الديكارتي واتهامه بالنقص والعجز، لهذا أكد سارتر بأن :**{كل ما هو قصدي**

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم: فلسفة جان بول سارتر، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003، ص6.

2) جان بول سارتر: المرجع السابق، ص25.

في شعوري الحالي يتوجه الى الخارج، الى العالم} [1]، فالوعي الإنساني يحتاجه الانسان لكن هذا الشعور والوعي متجه نحو موضوعات خارجية محددة وممكن التأكد من وجودها، لذلك صرح سارتر: {الوجود هو هذا، وخارج هذا لا شيء}[2]، وبالتالي كل ما هو ملاحظ لدى العيان ومتمثل في واقعنا الحسي فهو موجود، ووجوده الفعلي هو في العالم الواقعي، ليضيف سارتر لفكرة الكوجيتو الوجودالخارجي او الاخر لذا قيل: **{سارتر قد توسع في فهم الكوجيتو بحيث جعله يشمل وجود الغير والوجود للغير}**[3]، وبهذا فقد احدث تعديل على مستواه ،لهذا نجد الفكر السارتري الوجودي رافض لفكرة الانطواء والانغلاق على الذات وكان رفضه هذا مصرحا علنا لهذا نجده يقول **{يرفض الفكر الوجودي، أيه محاولة من شانها حصر الحقيقة داخل تصورات عقلية، أو البحث عن الحقيقة ووضعها في اطار نسق محكم البنيان، او في بناء منطقي ضروري، الخضوع لسلطة النسق وسلطان العقل}**[4]. وبالتالي فهو رافض للكوجيتو ،خاصة وان هذا الأخير يعتمد على العقل في تحصيل المعارف وفقط، ولا وجود لمعرفة خارجة عن اطار الذات المدركة والعارفة، ومن ثم تأسس رفض سارتر لذلك الحصر والانطواء ،ومن هذا النقد أسس مبادئ فلسفة الوجودية، لهذا نجده يقول :**{اما نقطة البداية في الفلسفة السارترية فهي "الكوجيتو" الديكارتي والكوجيتو هو الشعور باعتباره ذلك الموجود الذي يدرك الظواهر، ولكن سارتر ... يقر بأن الشعور هو دائما شعور بشيء}**[5].

بعدما حصر ديكارت الوجود في الفكر والذات وذلك من خلال الكوجيتو، الذي عبّر في اطاره صراحة أن الوعي الإنساني كفيل بتحقيق جل المعارف والمفاهيم الأخلاقية والمعرفية ،وأن هذه الأخيرة متسارية بين جميع البشر من منطلق أن العقل أعدل قسمة بين البشر ،لكن ما يمكن التنويه اليه ان

1) جان بول سارتر: المرجع نفسه، ص 26.
2) جان بول سارتر: المرجع نفسه، ص53.
3) فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف بمصر، مصر، ص38 .
4) علي حنفي محمود: قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، 1996م، ص14.
5) على حنفي محمود: المرجع السابق، ص30.

الفلاسفة الوجوديين كانوا من أشد الرافضين لهذا الموقف، بل من المعادين له خاصة الفلسفة السارترية ومن ثم نجد سارتر يقول: **{إن هذا الايضاح لمعنى الوجود لا يصلح الا لوجود الظاهرة ،ذلك أنه لما كان وجود الشعور مختلفا تماما، فان معناه يقتضي بالضرورة أيضا خاصا ابتداءا من الكشف – المنكشف لنمط آخر هو الوجود من أجل ذاته.. وهو يقابل الوجود في ذاته للظاهرة}**[1]، ما يمكن أن نستكشفه هنا أن الرفض الهوسرلي والسارتري للمنهج الديكارتي مؤسس بتقديم البدائل والحلول الواقعية، ولم يكن رفض من أجل الرفض وفقط.

1) جون بول سارتر: الوجودية مذهب انساني، المرجع السابق، ص ص 40-41.

الخاتمة

خاتمـــــــة:

بعد معالجتنا لاشكالية المنهج وقواعده عند ديكارت ، توصلنا وارتاينا الى مجموعة من النتائج ،نختصرها فيمايلي:

ان قيمة الفلسفة الديكارتية تظهر في ابداع ديكارت منهج فلسفي جديد، و مغاير تماما لما تم تأسيسه من قبل.اي بعدما كانت الفلسفة تعاني من الفوضى الفكرية والمعرفة الغير مؤسسة، والتي لا تقوم على أي منهاج واضح وجلي ،فجاء ديكارت وقام بتحويل السؤال الفلسفي، من ماذا نعرف الى كيف نعرف ؟-اي البحث عن الكيف بدلا من الماهية- ،ولعله من وراء ذلك التحويل يبتغي تاسيس منهج عقلي يكون اقرب الى المناهج الاستنتاجية الاستنباطية.لكن السؤال الذي يستحضرنا هنا، هل كل المواضيع قابلة لأستخدام المناهج الاستنتاجية ؟ اذا كان مدلول ذلك صحيح. فهل الموضوعات ذات الطبيعة المادية تقبل هي الاخرى مثل هذه المناهج ،ام تستدعي المنهج الاستقرائي الذي يتلائم و طبيعة موضوعاتها ؟هذا من جهة ،اما من جهة ثانية اذا كان المنهج الديكارتي ثورة حقيقية في عالم الفلسفة ،لكن ماذا عن المنهج الارسطي الذي رفضه ديكارت في حين يتم استخدامه الى حين الساعة؟

اراد ديكارت من نسقه المنهجي ان يقوم على اسبقية الماهية عن الوجود ،ليخالفه سارتر ذو النزعة الوجودية المعاصرة ،عندما رسم معالم فلسفته باسبقية الوجود عن الماهية، واقلب كوجيتوه "انا افكر ،اذن انا موجود " الى "انا موجود، فانا ذات مفكرة " ، مع التاكيد على الحرية وتحمل المسؤلية. ليعبر سارتر بذلك عن رفضه لمنهج ديكارت، خاصة وانه اهمل الوجود الخارج عن نطاق الفكر.

يعتبر المنهج الديكارتي المؤثر الأول في بناء علم قائم بذاته، نطلق عليه اليوم اسم "علم المناهج أو الميتودولوجي " .ليكون الهدف من ذلك المنهج هو التجرد من سابق الأحكام

ومحاولة بلوغ الموضوعية والابتعاد عن الذاتية ، ليقع في ذاتية من نوع آخر ،وهي ذاتية العقل الإنساني، الذي لانستطيع فك الارتباط بينه وبين ذلك الجسد النسبي .

ان المنطق الجديد أو" منطق الكوجيتو "هذا الذي صاغه ديكارت، بعد موجة الشك التي طالت كل شيء، وعلى وجه الخصوص الحواس من حيث رفضها واستبعادها في مجال المعرفة. هو منطق يعتريه النقص وضروب الخلل ،ويظهر ذلك جليا خاصة، بعدما اقر المنهج التجريبي باهمية الحواس العلمية الاشكالية، كخطوة محورية في المنهج سواءا المباشرةمنها او الغير مباشرة، بعدما تم تجاوزها ،ووضعها في ميزان الخطا و النقصان في التصور الديكارتي، لهذانجد القران الكريم قديما قد اسند للعقل صفة الكمال ليحظى بالقداسة والمكانة الرفيعة، لكن رغم تلك الكرامة الموسوم بها الا انه معرض للخطا و العجز، فكيف يكون عند ديكارت معصوم من الزلل والخطأ ؟. من جهته أوغسطين هو الاخر اعلن عن رفع القداسة المطلقة عن العقل من خلال ربطه بين العقل والايمان، ليعبر بذلك عن حاجة العقل للايمان وحاجة الايمان للعقل، وهذا ما تمثله مقولته: [آمن لتعقل، وأعقل لتؤمن]، ليسير حذوه أفلوطين في نظرية الفيض الالهي. التوجه ذاته عبر عنه الفيلسوف " أبو حامد الغزالي" – في مرحلة سابقة عن ديكارت – عندما انطلق من الشك في الحواس والشك في العقل ،ليهتدي الى سبيل ثالث وهو المنهج الكشفي ،–وبالتالي لا مكان لكل ذلك التمجيد العقلي– لهذا اصر على أن الحقائق الاكيدة والصحيحة تتكشف للمؤمن الصالح مباشرة ،و دون وسائط وتتضح بواسطة الالهام اوذلك النور الالهي الذي يقذف في القلب. لهذا نجده يقول:) فاقبلت بجد اتامل المحسوسات و الضروريات وانظر : هل يمكن ان اشكك نفسي فيها ،فقلت :قدبطلت الثقة بالمحسوسات... فلعل وراء ادراك العقل حاكما اخر ،اذ تجلى كذب العقل في حكمه... اني علمت يقينا ان الصوفية: هم السالكون لطريق الله تعالى ... ان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ،وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به (.ليكون الغزالي بهذا قد شك في الحواس وشك في العقل ،لكن شكه بالنسبة للعقل جعله

يلجا الى ما لا يمكن الشك فيه وهو المعرفة الاشراقية او النورانية، ليؤكد ان ديكارت يتفق معه في عملية شكه في الحواس والعقل، لكن يختلف معه في التوقف عند حدود المعقول، ليصرح مسبقا بعجز العقل الديكارتي ،وعدم قدرته على بلوغ اليقين و حصد الوضوح المزعوم ويتبع نهج الصوفية،نفس الفكرة ارتقى اليها ابن رشد في كتابه الموسوم ب: " فصل المقام وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال" ،عندما عمد الى التوفيق بين العقل والنقل والحكمة والشريعة . الموقف ذاته اكده كانط في كتابيه: [نقد العقل العملي، ونقد العقل الخالص] ، على الشك في الحواس والشك في المعارف العقلية ،ليصل الى أن العقل الذي أعطاه ديكارت مطلق الصلاحية حدود،كما يصر أيضا على ذلك التكامل الوظيفي بين الحواس والعقل، ومن ثم فهو لا يلغي الحواس كما فعل ديكارت، بل يؤكد على حاجتها للعقل وحاجة العقل اليها .. فكرة الشك وصل بها ديكارت الى الشك في وجوده هو بالذات، ليؤكد بذلك ان كل شئ عرضة له، لكن لا يمكننا الجزم بأن كل الافكار والحقائق في طائلة الشك، وأبرز مثال عن ذلك فكرة الغيبيات،فهي حقائق لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وانما يقع تصديقنا لها بالوجدان– باعتبارها حقائق ربانية مفارقة لذواتنا .فكيف السبيل اذن الى وضعها في دائرة الشك؟

هدف ديكارت من منهجه هو الوصول الى درجة معينة من البداهة والوضوح، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا. هل كل شيء يقبل البداهة والوضوح؟ واذا كان مدلول ذلك السؤال صحيح، فماذا عن الحقائق البرهانية، وما منزلتها من الوضوح و البداهة الديكارتية؟

فكرة الثنائية التي اراد ديكارت بواسطتها التملص من النزعة الواحدية، والتي هي في جوهرها تاكيد على ضرورة الاقرار بفكرة النفس والجسد، هذا التصريح يشترط التمييز بينهما، بعدم رد الاولى الى الثانية او رد الثاني الى الاولى، خاصة وان فكرة الجسد تعاني التغير والنسبية، في حين المعارف الروحية ثابتة وواحدة عبر الازمان. لكن وظيفيا وعمليا لايمكننا التمييز بينهما.

اذا كان ديكارت قد اسند للعقل صفة الكمال، فكيف لهذا الاخير ان يحقق التجاوز لذاته و اليات عجزه حتى يحظى بالمطلقية والقداسة الديكارتية؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: بالعربية:

أ) المصادر:

1- رينيه ديكارت: العالم او النور، تر: اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1999م.

2- رينيه ديكارت: انفعالات النفس، تر: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م.

3- رينيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى،تر: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت، ط4، 1988م.

4- رينيه ديكارت: حديث الطريقة، تر: عنر الشارني ، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، 2008م.

5- رينيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس، 2001م.

6- رينيه ديكارت: مقال عن الطريقة، تر: محمود محمد الخضيري، تر: محمد محمود الخضيري، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.

ثانيا: بالفرنسية:

1- René Descartes : Discours de la méthode, Librairie de L.Hachette et Giu, Paris, 1856.

ب) المراجع:

1- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1983م.

2- ابراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيووم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،2001م.

3- إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة والنصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م.

4-إبراهيم مصطفى إبراهيم: فلسفة جان بول سارتر، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003م.

5-ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر، فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م.

6- اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت ط2، 2001م.

7- باروخ اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن منفي، دار التنوير، بيروت، 2005م.

8- برقراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، (تر) فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب 1977.

9- بول ريكور: بعد طول تأمل، تر فؤاد مليت، ط1، 2006م.

10- جان بول سارتر: الوجود والعدم، تركيد الرحمن بدوي، منشورات دار الادب، بيروت، ط1، 1966م.

11- جان بول سارتر: الوجودية مذهب انساني، تر: عبد المنعم الحنفي ، ط1، 1964م.

12- جميل صليبا: العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

13- جنفياف رودليس لويس: ديكارت والعقلانية، تر: عبدة الحلو، منشورات عويدات، بيروت، ط1.

14- حنان قصبي: في المنهج، ط1، دار بوبقال للنضر، المغرب، 2015.ا

15- دليل أكسفورد: دليل أكسفورد، المكتب الوطني للبحث والنشر، تر: نجيب الحصادي، ليبيا.

16- ديف روبنسن، جودى جروفز: أقدم لك... ديكارت، تر: امام عبد الفتاح ايمام، الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية، القاهرة، 2001م.

17- رينيه ديكارت: العالم او النور، تر: اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1999م.

18- رينيه ديكارت: انفعالات النفس، تر: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م.

19- زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936م.

20- سارتر: عاصفة على العصر، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الادب، بيروت، ط1 ، 1965م.

21- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الحديثة ،ج2، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1959م.

22- شوقي الجمل، عبد الله عبر الرازق إبراهيم: أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

23- الطاهر عزيز: مناهج فلسفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990م.

24- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م.

25- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي النصر،1999م.

26- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000م.

27- عبد الوهاب جعفر: أضواء على الفلسفة الديكارتية، الفتح للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003م.

28- علي حنفي محمود: قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، 1996م.

29- فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، تر: سعيد توفيق، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط1، 2013م.

30- فؤاد كامل وأخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم بيروت.

31- كي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1.

32- محمد جواد فغنية: مذاهب فلسفية (قاموس المصطلحات)، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، لبنان.

33- محمود سعيد عمران: حضارة أوروبا في القرون الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1998م.

34- مهدي فصل الله، فلسفة ديكارت و منهجه، دار الطليعة للطباعة و النشر، لبنان، ط 3، 1996م.

35- نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفلسفية الحديثة، القاهرة، 2003م،

36- هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م.

37- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993م.

38- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5.

فهرس

المصطلحات

فهرس المصطلحات:

المصطلح	تعريفه
اصلاح ديني: (Reformation (Religious), Reformation religieuse):	يؤرخ الإصلاح الديني البروتستانتي في أوروبا عام 1517م وهو العلم الذي احتج فيه مارتن لوثر (1483 – 1546) على صكوك الغفران ودعا الى الاكتفاء بضرر الانسان وعقله والكتاب المقدس، وتحرير السلطة الزمنية من السلطة الروحية، استقلال الأمة الألمانية عن الكنيسة الكاثوليكية.[1]
الأفلاطونية: (Platonisme, Platonism):	من حب أفلاطون وهو أوضح صورة للمثالية قديما، وعنه أخذت المثالية المختلفة في التاريخ الوسيط والحديث، ويتميز بتحويله على الرياضة موضوعيا وأخذه بالجدل منهجيا تصويره للحياة الإنسانية تصويرا روحيا وايمانه بقدرة العقل على الوصول الى الحقيقة المطلقة.[2]
اما فلسفة الوجود: Philosophie de l'existence:	فيطلق اصطلاحا فلسفة الوجود على فلسفة ياسبر وسارتر وموضوعها البحث في الوجود الإنساني، وتوضيح الأسباب والمعاني المؤثرة فيه.[3] انتقال لاالذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات الى قضية أخرى هي النتيجة.[4]

[1] مراد وهبة، المرجع نفسه، ص ص 68-69.
[2] إبراهيم مذكور، المرجع السابق، ص18.
[3] جميل صليبا، المرجع نفسه: ص 562
[4] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص12.

البداهة : Evidence (f)	وضوح الأفكار و القضايا بحيث تفرض من نفسها على الزمن **بوجه عام:** الجمع بين عناصر متفرقة ومحاولة التأليف. بوجه عام: حصر طائفة من الوقائع والظواهر وتجميعها على وجه معين.[1]
التحليل: ANALYSE (f) :	منهج عام ايراد به تقسيم الكل إلى أجزائه و رد الشيء إلى عناصره المكونة له . و منه الرياضي . و قد إستعمله اليونانيون في البرهنة الرياضية، و عززه ديكارت في منهجه [2]
الثنائية الديكارتية: (الثنوية):	مذهب فكري يقسم كل شيء بطريقة او بأخرى الى مقولتين او عنصرين، ومصطلح ثنائية إدخاله منذ حوالي 1700م ، ليستوعب تلك الأفكار اللاهوتية، وهو تقسيم ديكارت للعالم الى "جوهر ممتد (مادة) ودواهر مفكرة (عقول) ويسمى هذا النوع من الثنائيات، ثنائية الصفات.[3] حملة المذهب الأرسطي كما صوره صاحبه وهو أوضح صورة الفلسفة المعاني، وامتدادا للأفلاطونية، مع الامام التام بالأراء الفلسفية السابقة، والتحويل على التجربة، والاعتداء بالعالم الحسي.[4]

[1] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص4.
[2] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص 40
[3] فؤاد كامل واخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، المرجع السابق، ص 161.
[4] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص9.

الديكارتية: **Cartésianisme:**	مذهب عقلي مثالي يقوم على التقابل التام بين المادة والروح وربط الوجود بالتفكير. يرى في الوضوح أساس اليقين، ويحاول ان يفسر العالم تفسيرا رياضيا عقليا فوضع دعائم الفلسفة الحديثة التي عارضت الفلسفة ارسطو، وهدمت الفلسفة المدرسية واقامت العقيدة الدينية على أساس ميتافيزيقي[1] جديدة قال به ديكارت واعتنقه اتباعه الديكارتيون في شيء من التعديل والتحويل أمثال مالبرانش بوسويه وسبينوزا والديكارتي نسبة الى الديكارت.
الرد الفينومينولوجي:	يقوم الرد الفينومينولوجي بدور أساسي ف الارتفاع بمستوى المعرفة الطبيعية الساذجة والعلوم التجريبية المتغيرة، الى مستوى المعرفة الماهويه والعلوم الصورية، لكي تتمتع باليقين والدقة وتتصف بالعمومية والثبات والهدف الأساسي هو ادراك هذه الماهيات الكلية الثابت دون الوقائع الجزئية المتغيرة.[2]
الشك المنهجي: doute methodique:	مرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والاحكام تمحيصا تاما بحيث لا يقبل منها الا ما ثبت يقينه ، ومن ابرز من قال بها الغزالي وديكارت، فعلى الباحث ان يحرر نفسه من الأفكار

[1] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص58

[2] سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1991، ص 142

	الخاطئة (بالشك)، وان يتروى فيها يعرض له، فلا يتسرع في الحكم ولا يقبل الا ما ثبت للعقل بداهة.[1]
الشك: (doute/f – doubte):	حالة نفسية يتردد معها الزمان بين الاثبات والنفي ويتوقف عن الحكم وذلك بالجهل بظروف الموضوع وجوانبه، او العجز عن التحليل والبحث في الموضوع.[2]
الفلسفة المدرسية: (La Scolastique) :	هي التعليم المدرسي الذي نشأ ونما في المدارس والجامعات الأوروبية بين القرن 19 و17م ومن أهم ما يمتاز به هذا التعليم ارتباطه بعلم اللاموت، ورفضه التشكيك في العقيدة الدينية وتفريقه بين الوعي والقول واعتماده في البحث طرق القياس البرهاني وتفسير النصوص القديمة ولاسيما نصوص أرسطو.[3]
الكوجيتو: le cogito:	كوجيتو لفظ لاتيني معناه (افكر) شبيه الى قول ديكارت، انا افكر اذا انا موجود، ومعنى هذا القول اثبات وجود النفس من حيث هي موجود مفكر، الاستدلال على وجودها بفعلها، الذي هو الفكر. وقد قيل ان الكوجيتو ليس استدلال حقيقي وانما هو حبس يكشف عن الحقيقة الأولية لا يتطرق اليها الشك.[4]

[1] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص103
[2] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص103
[3] جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، المرجع السابق، ص118.
[4] جميل صليبا، المرجع نفسه: ص249

المحايثة: الكمون l'immanence :	يدل لفظ المحايثة او الكمون على وجود شيء ما في شيء اخر وهو بهذا المعنى لفظ المفارقة والتعالي والشيء الكامن. مذهب القديس أغستين الذي يقول "ليس ثمة معرفة ولا حقيقة حيث لا ايمان" ويقول على التةفيق بين المسيحية والأفلاطونية، ويؤمن بالعقل الذي يفرق بين الحق والباطل، ويقول بالاشراق ... الخ وقد أدت هذه النظرية الى صراع مع البابوية ضد الأعيان والاقطاعيين، ولهذا المذهب شأن في الفكر المدرسي.[1]
المنهج او المنهاج: Inogramme:	هو الطريق الواضح، والسلوك البين، والسبيل المستقيم.[2]
نصل اوكام:	يجب اقتصاد في التفكير أي تفسير الوقائع تفسيرا كاملا باقل ما يمكن الفروض.[3]
نظرية المعرفة: Théorie de la connaissance:	هي البحث في طبيعة المعارف واصلها وقيمتها ووسائلها، وحدودها.[4]
النهضة: (Renaissance, Renaissance) :	مصطلح افرنجي سكه ميشيليه، ولكنه لم يصبح مصطلحا تاريخيا الا بفضل بوركاهات، ويطلق على القرينين 15 و16م وهو يدور على اعلاء الفردية، واخباء التراث

[1] ابراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص 27.
[2] جميل صليبا، المرجع نفسه: ص 435
[3] جميل صليبا، المرجع نفسه: ص 469
[4] جميل صليبا، المرجع نفسه: ص 378

	اليوناني واكتشاف العالم والانسان على نحو مغاير لما حدث في العصر الوسيط، كما شهد هذا العصر انفصال الفلسفة على الدين.[1] و البديهي : بوجه عام : ما يبدو للزمن لأول و صلة دون شك أو تردد [2].
الواحدية:	مذهب فلسفي يقول " ان مبادئ العلم ومصدره واحد، واختلف القائلون بذلك فيما بينهم، فقال الماديون: هو المادة، وقال المثاليون: بل هو قوة تدرك وتعلم، ولا تمت الى المادة بسبب. [3] **وبوجه خاص:** منهج يقوم على السير من بسيط الى مركب يقول ديكارت "ارتب افكاري بادئا بأبسط الاكور واسيرها معرفة، واتدرج رويدا رويدا حتى اصل الى معرفة اكثر يقينا"[4].
الوجود: Existence:	الوجود المقابل للعدم، وهو بديهي، وان الوجود هو الحقيقة الواقعية الدائمة، او الحقيقة التي نعيش فيها وهو بهذا المعنى مقابل للحقيقة المجردة، والحقيقة المطلقة.[5]
الوجودية:	الوجودية عموما هي تأمل الوجود الإنساني وإبراز قيمة الوجود الفردي ويطلق هذا اللفظ على الأفكار الفلسفية لكل

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص657.
[2] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص 31
[3] محمد جواد فغنية، المرجع السابق، ص231.
[4] إبراهيم مذكور، المرجع نفسه، ص 43
[5] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

	من سرين كيركيغاد، ياسبيرس، وبوجه خاص الى النزعة التي تبلورت خاصة مع سارتر ويتلخص هذا المذهب في قول سارتر: بان ماهية الأشياء المصنوعة تسبق وجودها، بينما وجود الانسان يسبق ماهيته التي يحددها وينحتها بنفسه بكامل الحرية.[1]
اليقين: Certitude:	اليقين نقيض الشك، وهو الاعتقاد الحازم المطابق الثابت الذي لا يزول بتشكيك المشكك، وهو حالة ذهنية تقوم على اطمئنان النفس الى الشيء مع الاعتقاد انه كذا.[2]

[1] جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية المرجع السابق، ص 485.
[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، المرجع السابق: ص588

فهرس الموضوعات	
الموضوعات	**الصفحة**
مقدمـــــة	**5 - 2**
الفصل الأول: البوادر الأولى للنظرية المعرفية الديكارتية	**29 - 7**
أولا: الارهاصات الأولى للفلسفة الديكارتية	**22 - 7**
1) عصر النهضة الأوروبية.	**13 - 7**
2) شذرات ظهور حركة الاصلاح الديني	**16 - 14**
3) العلم ونشأة الفلسفة الحديثة	**22 - 16**
ثانيا: ديكارت: حياته، نشأته وأعماله	**25 - 23**
1) حياته ونشأته	**24 - 23**
2) مؤلفاته	**25 - 24**
ثالثا: نظرية المعرفة الديكارتية	**29 - 26**
1) الشك المنهجي والكوجيتو الديكارتي	**28 - 26**
2) المعرفة الديكارتية	**29 - 28**
3) الثنائية الديكارتية	**29**
4) الله مصدر الكمال والحقائق المطلقة	**29**
الفصل الثاني: أسس وقواعد المنهج الديكارتي	**48- 31**
أولا: المنهج ودلالته	**35 - 31**
1) لغة:	**32 - 31**
2) اصطلاحا	**33 - 32**
3) دلالة المنهج عند ديكارت	**35 - 33**
ثانيا: أسس المنهج الديكارتي	**39 - 36**
1) البداهة	**38 - 36**
2) الاستنباط	**39 - 38**
ثالثا: قواعد المنهج الديكارتي	**48 - 40**
1) قاعدة البداهة والوضوح	**42 - 40**
2) قاعدة التحليل	**43 - 42**

3) قاعدة التركيب	**45 - 43**
4) قاعدة الإحصاء والاستقراء	**48 - 45**
الفصل الثالث: المنهج الديكارتي بين التأييد والمعارضة	**73 - 50**
أولا: المؤيدين	**59 - 50**
1) اسبينوزا	**55 - 50**
2) مالبرانش	**59 - 56**
ثانيا: المعارضين	**73 - 59**
1) هوسرل	**66 - 60**
2) سارتر	**73 - 66**
خـــاتمـــــة	**78 - 75**
قائمة المصادر والمراجع	**83 - 80**
فهرس المصطلحات	**91 - 85**
فهرس الموضوعات	**93 - 92**

<